A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

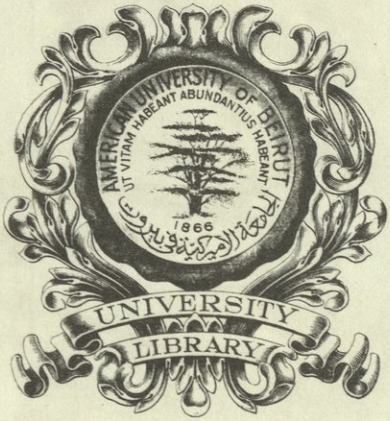

PHILIP HITTI COLLECTION

A.U.B. LIBRARY

Philip K. Hitti
نبيه امين فارس
٩٥٠ / ٢ / ١

نبيه امين فارس

956.904
F22gA
c.1
AUB faculty or
AUB related
publication

غيوم عربية

دار العلم للملايين

L155-13057

مقدمة

ان معظم افكار العرب ونظرياتهم الاجتماعية والسياسية تعود الى يوم كانوا فيه يسيرون في طليعة الامم . وقد دار الدهر دورته واذا بالامم هذه تسير في الطليعة والعرب في الساقة . غير انهم لا يزالون يتشبثون بتلك النظريات والافكار على الرغم من انها اصبحت مع مرّ الايام بالية . ولن يلحق العرب بقافلة الامم المتمدنة ويقودوها كرة اخرى الى موارد التقدم والفلاح الا بنسبة ما يكيفون به تلك الافكار والنظريات حتى تستوي مع العصر وتفي لمجابهة المستقبل .

وفي هذه الدراسات المختلفة المتباينة حاولت ان ارسم للعرب بعض معالم الطريق التي يجب ان يسلكوها حتى يستعيدوا المقدرة على الحياة والتقدم في عالم لا يرحم الجمود ،

حتى في جنة الخلود .

ولا حاجة للعربي ان يستسلم الى اليأس ما دام في النفس رمق حياة ، فشمس العروبة لامحالة مشرقة وان تلبدت سماء العرب اليوم بالغيوم .

نبيه امين فارس

من الاعماق

تحديد جديد للعروبة *

في الوديان المجاورة لـ « بجمدون » صخور وركام تدحرجت الى اماكنها الحالية بفعل عوادي الزمان . فمنها ما هو كبير الحجم يزن القناطير المقنطرة ، ومنها ما هو صغير لا وزن له . وقد لفت نظري واحد من هذه الصخور في عراكه الصامت ضد شجيرة من شجيرات التين المنتشرة في ذلك الوادي ما لبثت ان فسخت اجزاءه وتركته بعد سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة قطعا قطعا تشق بطونها جذور التينة الصغيرة . هذه هي سنة الحياة . فالمستقبل ليس للمطلق الجامد – سواء أكان ذلك المطلق جلمود صخر ام اوضاعا اجتماعية متحجرة ، بل للاشياء الحية التي

---

* طالعت مقالا لريموند فوسدك في مجلة نيويورك تايمس الاسبوعية (٣ نيسان ١٩٤٩) عنوانه « يجب الا نخاف التغيير » فاوحى الي بكتابة مقالي هذا .

تقوى على النمو ، سواء أكانت تلك الاشياء شجيرة تين ام مجتمعا بشريا .

ومن الغريب ان مبدأ اوليا معروفا مثل هـذا المبدأ يحتاج في يومنا هذا الى الاشارة والتنبيه . غير اننا نعيش في زمن يخيم عليه القلق والخوف ، والخوف كما تعلمون يولد نوعاً من الحوَل الفكري فظيعاً . ومع ان اسباب الخوف التي تحيط بالعرب كثيرة وان عليهم ان يحتاطوا لها كما يحتاط الفرد للص ، فيجب على العرب ان يحتاطوا للخوف نفسه ولما يأتي عنه من هوس ووسواس وحـول فكري وقصر نظر فالخوف بلية في نفسه وفيما يفعله بعواطف الانسان وبسلوكه وبسكناته وحركاته .

فقد يوّلد الخوف في الفرد والمجتمع عداء للتطور والنمو لانهما ينطويان على تغيير وتبديل . وفي ساعات القلق وعدم الطمأنينة يميل الانسان الى التمسك باهداب الحاضر او الى التهرب الى ذكريات الماضي . غير ان تيار التاريخ الجارف يدفع بنا الى المستقبل فلا نستطيع الوقوف دون حراك كما لا نستطيع الرجوع الى الوراء القهقرى . ولعل اعظم ما ينتاب عقول الناس من آفات الاضطراب وعدم التوازن هو الوهم اننا نقدر ان نجد ضالتنا من الطمأنينة في الاستقرار والجمود ، وان السلامة تتوقف على السكون وعدم التغيّر .

لا شيء في العالم مستقر لا يتغير، لا ولا افكارنا . فالقيم والمقاييس تتغير من جيل الى جيل ، والمعاني التي يقرها جيل قلما تصلح في الجيل التالي ، بل يجب ان يعاد دوما تفسير المفاهيم الاجتماعية كما يجب ان يعاد وضعها في صيغ معاصرة طبقا للظروف والقرائن المعاصرة .

ويصح هذا على جميع المفاهيم حتى على مفهومنا للحرية نفسها . فالحرية ليست ثابتة غير متغيرة ، بل يجب ان يبقى معناها في نمو واتساع مستمرين . وها نحن نرى مفهوم الحرية يتخذ معنى اوسع واعم . فالجيل القديم لم يعرف للحرية معنى سوى المعنى السياسي ، وقد صرف جهوده كلها في فك نير الاستعمار ورفع وطأته عن كاهل البلاد . اما الان فنأخذ بعين الاعتبار ، علاوة على هذا المعنى المحدود ، معنى الحرية الاجتماعي والاقتصادي ، وما يهددها بالحد من معناها ، والاخطار التي تتعرض اليها بسبب من الفقر وفقدان الطمانينة ومن الامراض والأوبئة والجوع والعري والعوز ومن الاحوال الاجتماعية والاقتصادية التي لا يمكن للانسان ان يتمتع معها بحرية ما .

ويحاول مفهوم الحرية هذا ان يجد لنفسه اليوم قبولا في البلاد العربية كما وجد لنفسه القبول في بعض البلدان الاخرى . وها نحن نرى اوضاعا تتداعى واخرى تقوم

امام اعيننا . ونجد في الفكرة الديمقراطية كذلك مفهوماً آخر يجب ان يعاد تفسيره وتحديده دوما من جيل الى جيل فالديموقراطية هي حكم الشعب في سبيل الشعب ، الا ان حدودها لم تعين ولن تعين نهائيا في هذا القرن او ذاك ، بل هي فكرة حية تنمو وتتغير ، وعقيدة فعالة وتكييف مستمر بين فكرة الحرية والعدالة وبين الحقوق الفردية ومطاليب المجتمع . غير ان هذا التكييف لن يتم بصورة كاملة او نهائية ، وسيبقى دوما مشكلة يجب على البشرية ان تتصدى الى حلها جيلاً بعد جيل . فجوهر الاشياء هو ان يؤول كل نجاح الى مرحلة جديدة من العمل تستدعي جهدا اعظم فاعظم .

وتبعاً للمبدأ نفسه نجد ان معنى العروبة ، وهو معنى مختلف في تحديده لا سيما في يومنا هذا ، يحتاج الى تحديد جديد . والعروبة في نظري هي ، والحمد لله ، غير الكيان العربي السياسي في يومنا هذا . ويقتضي ان يعاد تحديدها دوماً وفقاً لسنة الحياة حتى لا تموت وتبقى حية وتسير مع الزمن وتتغلب على جميع العقبات التي تعترض اليوم طريقها .

فسنة الحياة التطور والتغير والنمو . غير ان المخاوف التي تكتنف العرب الاحياء قد دفعت الكثير منهم الى الاعتقاد ان كل تغير وانقلاب شر في حد ذاته وهدام في

جوهره واتجاهه ، وان أي فرد يدعو الى التغير او يحمل فكرة جديدة يكون خطراً على البلاد . ونرى هذه الظاهرة الخطرة في كل مرافق الحياة في جميع الاقطار العربية . فقد خلقت عقلية الخوف هذا جواً سياسياً واجتماعياً وفكريا خانقا لا يستطيع المفكر ان يعيش فيه . فمن خالف السنة والاتّباع رمي بالزندقة والابتداع ، ومن وجه النقد النزيه الى شواذ الوضع الراهن شهر بين الناس كخائن ، ومن التحق عن عقيدة واخلاص بالمعارضة اتهم بانه صنيعة المستعمر او نسبت اليه الشيوعية . اما من حدثته النفس بأن يفكر لنفسه تفكيراً مستقلا فتثار حوله غيوم الشك وتنسب اليه اسفل الغايات .

وقد اصبح موقف الاحرار عندنا صعباً وحرجاً . فاذا رفع المواطن صوته شاجباً مساويء العهد رمي بالتواطؤ مع العدو على سلامة العهد . واذا حاول ان يدعو الى الاصلاح قيل انه ناقم يطمع بالحكم ، واذا دعا الى انتهاج سياسة عملية تجاه المشاكل الكبرى التي تجابه العرب قيل إنه سمسار مأجور يعمل لمصلحة العدو . وهناك محاولات خفية لاكراه العرب على الرضوخ لمساويء ما انزل بها من سلطان بحجة الابقاء على الاستقلال ، ناسين ان الاستقلال لم يكن يوماً غاية في نفسه بل وسيلة الى غيره من الغايات .

والمأساة في مثل هذه العقلية انها تقرن اسم المستعمر او الاجنبي او الشيوعي او اي داع الى حركة هدامة بكل محاولة مخلصة يقوم بها الشعب نحو التطور والتغير والنمو، وفي الوقت نفسه تحكم على العرب بالتحجر في نطاق الوضع الراهن، وتعترف ضمناً بادعاء المستعمر والاجنبي والشيوعي وجميع دعاة الحركات الهدامة بالتفوق، وتضع مآتي العروبة ومحاسنها وطاقتها تحت شائبة الشك والافلاس.

فعلى هؤلاء الذين عصف بهم الخوف من جراء النوائب التي حلت بهم والذين يميلون اليوم الى نعت كل مخالف ومعارض وناقد بشيوعي او غير ذلك من النعوت ان يفحصوا بامعان ما ينطوي عليه فعلهم هذا. فالحجج المفعمة ضد الشيوعيين وغيرهم من اصحاب الحركات الهدامة الذين يرمون العروبة بالافلاس كثيرة والحمد لله. وما حركاتهم الا حيل لاكراه الالوف من العرب الذين يجدون انفسهم في حيرة وارتباك بسبب من النكبة التي حلت بهم للتخلي عن حريتهم وعروبتهم لقاء مواعيد خلابة تستغل الجوع والفقر والعري والضجر واليأس والفوضى في سبيل غاياتها القتالة.

ولذلك كان من الجهل ان نزعم ان تطلّع الشعب في مختلف الاقطار العربية الى حياة افضل هو خروج على العروبة، كما

كان من الحماقة ان نحسب ما يستهدف المساواة والخدمة العامة التي تتوخاها العروبة حركات هدامة . لان ذلك يتخلى للشيوعية وللحركات الهدامة الاخرى عن افضل الحجج التي في ايدينا ، ويجعل من العقيدة التي تحيي نفوسنا سخرية ومهزلة .

وتتبع الشيوعية والحركات الهدامة التي ترمي العروبة بالافلاس خطة محكمة ترمي الى التهويل على العرب وتخويفهم حتى يتراجعوا الى موقف يربط العروبة في الظاهر لا بالحركات التقدمية التي تمت الى آمال الشعب وامانيه ، بل بالاوضاع الاجتماعية البالية . وان استطاع هؤلاء ان يظهروا العروبة بمظهر المجتمع الذي وقع فريسة للفالج الروحي ، مجتمعٍ مسمرٍ الى الحاضر ، تواقٍ الى الماضي ، اصم عن نداء فكرة المساواة البشرية الجديدة التي تشق اليوم طريقها في جميع انحاء العالم ، نالوا بذلك نصراً عظيماً لفكرهم الهدامة .

هذه هي الصورة التي يحاول اعداء العروبة ان يصوروا العروبة بها ، وهي الصورة التي يساعدهم في تصويرها بعض من العرب انفسهم الذين عاث بعقولهم الجهل ، وعبث بنفوسهم الفساد ، وعصف بارواحهم الخوف .

ولست احط من قدر المسؤولية التي تجابهنا في هذه الايام لمكافحة هذه الاراء الهدامة . ولا يستطيع العربي ان

يخدم سيدين ، فاما العروبة واما الفكر الاخرى التي ترمي العروبة بالافلاس . غير ان هذه المسؤولية تتطلب حكمة قصوى ومقدرة فائقة للقيام بها دون الاساءة الى جوهر العروبة الرحبة الصدر . لاننا اذا اقدمنا على استئصال الشر برعونة الجهل وغباوة التعصب اسأنا الى انفسنا اساءة لا تغتفر . واذا لم نميز بين اعداء العروبة الذين يشمتون بها في يوم نكبتها وبين اصدقائها الذين يحاولون ان يبينوا لها مواطن الضعف في اتجاهها الحاضر ، جلبنا على انفسنا النقمة والخراب . واذا لم تتسع صدورنا للنقد النزيه فقدنا صفة من اعظم صفات العروبة على مدى الاجيال .

ويتراءى لي اننا في حرصنا على تعيين ما يستطيع اعداء العروبة ان ينزلوا بها من ضرر ، اغفلنا الاضرار التي قد ننزلها نحن بها تحت تأثير الخوف . ومع ان للقول المأثور « لا يفلّ الحديد الا الحديد » طلاوة لدى الناس ، فهو لا يتعدى كونه قولا خداعاً اطاح في الماضي بأكثر من قضية عادلة . فكثيرا ما يلجأ الناس الى الغش خوفاً من الغش ، والى الخداع خوفاً من الخداع ، والى البغضاء خوفاً من البغضاء ، والى الظلم خوفاً من الظلم ، فيقتبسون عقلية الاعداء واساليبهم ، ولا يلبث ان يتلاشى الفرق بينهم . هذا ما يحدثه الخوف في قلوب الناس .

فان استطاعت اساليب اعداء العروبة ان تدفع بالعرب الى البطش بكل معارضة ، والى الحكم على الاخلاص والوطنية على اساس الاتباع ، وان استطاعت اساليبهم ان تكرهنا على انكار مثلنا العليا ومبادئنا ، فقد اجبرنا على التراجع قبل ان نخوض نيران المعركة .

واذا كان للعروبة من معنى وحقيقة فهما طاقتها على النمو والتطور والتغير ومجاراة الزمن . فلم تكن العروبة يوماً صرحا تاما كامل البناء ، بل هي صرح دوما في حالة البناء ، ولن يتم حتى يبلغ رأسه السماء . وليس للعروبة سابق تصميم يتناول جميع الامور والظروف والحالات التي ستطرأ يوماً من الايام ، ولا دستور يحتوي جميع الفكر الجديدة التي ستنشأ في المستقبل القريب او البعيد . وليس لها شكل مطلق نهائي تسلمه العرب من عل . ان العروبة اسلوب من اساليب التطور والنمو وطريق من طرق الحياة التي تسير دوما نحو الرشد والرشاد ، وعقيدة في العلاقات الانسانية متأصلة في قيمة الفرد وكرامته تستوحي فكرة الحرية المتطورة .

هذا هو ما انطوت عليه العروبة . وقد رفعنا لواءها عالياً في التاريخ لاننا ، في اروع ايامنا ، رحبنا بمختلف الاراء والافكار ، فلم نفرض عقيدة معينة على العربي ، ولم

نخصص لرجال الفكر والمجددين بيننا منفى يرسلون اليه . وتمتعت عروبتنا بالصحة والعافية والقوة لاننا لم نضرب على ايدي المنشقين عنا فكراً والمختلفين عنا ديناً ، بل هيأنا للجميع مجالا للتفكير وللتعبير عن ذلك التفكير . والواقع ان الفترات التي بلغت فيها العروبة اعلى درجات مجدها الروحي والفكري كانت تلك الفترات التي برز فيها المجددون الفكريون المنشقون عن التقليد والاتباع امثال المأمون وابن سينا والمعري والغزالي وابن خلدون والكواكبي والريحاني وغيرهم كثير .

ورحابة الصدر هذه والمرونة التي اتصفت بها العروبة في افضل ايامها هما اللتان تهيئان لارادة الشعب المتطورة الوصول الى تحديدات جديدة ومعان جديدة للحرية والمساواة والوطنية . ولولا فلسفة النمو والتقدم هذه لما استطعنا الرجاء والامل في وسط هذه المحنة التي انقطع فيها الرجاء وخاب فيها الامل . بل هي العقيدة التي تبعث فينا الايمان بأنّ حيرتنا ستستحيل الى يقين ، وقلقنا الى طمأنينة ، وضعفنا الى قوة .

والطريق الوحيدة الى الاجابة على تحديات الشيوعية والحركات الهدامة الاخرى هي في السير في تعزيز اسس العروبة الاقتصادية والاجتماعية حتى تصبح نتائجها المحسوسة

لرفاهية الشعب افضل من جميع المواعيد التي يلوح بها اصحاب تلك الحركات . واذا قمنا بذلك واسبغنا على العروبة هذا المعنى الايجابي الفعال تستطيع العروبة عندئذ ان تبعث في ابنائها آمالاً جديدة ، وتقذف في نفوسهم عزيمة جديدة ، لأعمال جديدة ، تفرض على العالم الاعجاب وتعود عليه بالخير .

هذه عقدة جديرة بالجهاد في سبيلها . وبينا يتبجح اعداء العروبة بنظام جديد ، نرفع امام الملأ نظاماً جديدا يفوق ذلك حياة وقوة وصلاحا . فنظامنا الجديد يقوم على مقدرة كل جيل على التمخض عن ولادة جديدة للحرية . وبينا يمجد اعداء العروبة قوة شبابهم ونظامهم نجد في تطور فكرة العروبة عندنا كيانا دائم الفتوة .

لقد قلت في بدء كلامي ان المستقبل للاشياء التي تقوى على النمو . ويبدو لي ان البرامج التي يقدمها اعداء العروبة ، على الرغم من حسن ترتيبها وتنظيمها احيانا ، تسير لا محالة الى الفناء لانها زجت نفسها في قيود التقليد والاتّباع ، فاحاطت الفكر بسياج الاستنان ، وشدت على خناقه رباط الامتثال ، فلم يبق امامها سوى نهاية واحدة الا وهي القضاء على قوة النظام الذي تحاول ان تقيمه . ففي جو زاهق مثل هذا لا تستطيع الروح

البشرية ان تزدهر وتثمر ، ولا نهاية امامها سوى ان تذبل وتموت اختناقا . ولقد شغل أعـــداء العروبة بسبب من تعصبهم لافكارهم عن حقيقة آمل ان تبقى نصب اعيننا ، وهي ان الموت واقف بالمرصاد لكل وضع اجتماعي او نظام اقتصادي او فكرة روحية فيفتك بها حالما تفقد قوتها على النمو. وكثيراً ما يعيرنا هؤلاء باننا رجعيون نساند اوضاعا راهنة بالية آخذة بالتداعي . مع ان الحقيقة انهم هم الرجعيون لانهم يحاولون ان يقيموا اوضاعا راهنة اكثر تصلبا وجمودا من اي وضع راهن عرفه التاريخ . وهم الذين يريدون ان يرفعوا سورا صينيا جديدا لافكار الناس واحلامهم .

منذ قرون سأل احدهم سؤالاً هز العالم باسره فقد تساءل قائلا : « من هو ذاك الذي يريد ان يضع حـــداً للعقل البشري ؟ » والواقع ان اعداء العروبة التي وصفت لكم جوهرهـــا يريدون لا بل يحـاولون ان يفعلوا ذلك ، وبمحاولتهم هذه يرتطمون بالتاريخ ويزرعون بذور اضمحلالهم النهائي . فليس لنظمهم المطلقة المتحجرة ، منذ ولادتها ، مستقبل على الاطلاق ، كما ليس للصخرة الملقاة في اسفل الوادي مستقبل اذ لا بد لقوة الاشياء التي تقوى على النمو ان تقضي عليها وتفتتها كما فتتت شجيرة التين تلك الصخره الصماء .

لذلك أقول ان العروبة الحقة هي منتهى آمال العرب الى الحياة والتقدم والابداع . لان جذورها متأصلة في مبدأ النمو ، ولها من المرونة ما يمكنها ان تكيف نفسها مع مفاهيم العدالة الاجتماعية الجديدة . وهي لا تقوم على عقيدة جامدة ، ولا على جمهرة من الافكار المقيدة بل على يقين ان ليس للفكر حدود ثابتة ، وان التاريخ يسير حثيثا الى الامام ، وليس في العالم فكر ممتازة لها طلاسم من السحر تقيها منافسة الفكر الاخرى . ولا يجرؤ على التفكير الحر الا الرجل الحر . وبالتفكير الحر والتعبير الحر فقط تستطيع روح العرب ، وهي العروبة ، ان تحيا ، وان تصل الى غايتها القصوى : مجتمع حر في عالم حر يساهم في التاريخ مساهمة حرة ويخلق جزءا من حضارة العالم .

وبسبب من هذه العقيدة اجرؤ على القول من الاعماق ، من حضيض المحن والنكبات ، من فوضى الاهداف والغايات ، من تناحر الحكومات العربية ولهوها وعبثها ، من فردوس الحماقة الذي تعيش فيه ، من هاوية الفساد والفشل ، من جهنم اليأس والقنوط : إن القافلة العربية ستجتاز هذه العقبة رغم انف الزعماء والجبابرة والعباقرة ، وسينفض العرب عن انفسهم غبار الجامعة العربية المتهدمة وسيرفعون مكانها بنيانا قبلته الوحدة لا التفريق ، والتقدم لا الجمود ، وسيتكتلون ـ

نعم سيتكتلون ـ ثنائياً متى امكن ، وثلاثياً ورباعياً ما دام هذا التكتل يسير الى الوحدة والنمو . ولن يقف في سبيل القافلة العربية احد ، ولن يعيقها عن غايتها احد ، مهما طال قطنه وضعف خيطه ، ومهما كثر زيته ، وقل نوره .

غيوم في سماء العرب *

في فترة من التاريخ تمتاز بعدم الاستقرار والفوضى ، وبالتطورات السريعة والمفاجئات الخاطفة ، نشاهد العالم يتكتل في معسكرين عظيمين ، يدين كل منهما بفكرة تتنافى مع فكرة الآخر . وكل شيء يشير الى انهما سائران الى معركة حاسمة قد تقرر مصير البشرية مرة والى الابد . على رأس الفريق الاول الذي يدين بالديموقراطية ، وان لم يعمل بها دوماً ، الولايات المتحدة . وعلى رأس الفريق الثاني الذي يدين بالشيوعية ويسعى الى نشرها بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، روسيا .

بين هذين الماردين يقف العالم العربي برقعته الجغرافية . والسؤال الملح اليوم هو : مع اي من هذين المعسكرين سيلقي العرب قرعتهم ؟ لان ايام الحياد تلاشت في اراضي هولندة المنخفضة وفي موانىء نروج الصخرية اولا ، وفي فرصوفيا وصوفيا وبخارست وبودابست وبراغ وهلسنكي

* آذار ١٩٤٨

اخيراً . زد على ذلك ان الرقعة الجغرافية قد جعلت الهلال العربي منذ فجر التاريخ طريق التجارة بين ثلاث قارات وملتقى القوافل بين الشرق والغرب . فكانت سهوله وبواديه ميادين للقتال بين الفاتحين ، وثرواته الطبيعية مطمعا لشهوات المستعمرين ، ومركزه الستراتيجي سبباً للتنافس بينهم ومجلبة للويلات عليه . ولو شاء ان يبقى على الحياد لما استطاع الى ذلك سبيلًا في وجه هذه الحقائق الملموسة . ونحن نعيش اليوم في زمن دستوره الدولي من ليس معنا فهو علينا .

لذلك فقد حان الوقت للعرب ان يقفوا ليحصوا ويظهروا ، من دون ما تردد أو وجل ، الى اي المعسكرين ينتمون . وهم لا يستطيعون بعد اليوم ان يوجدوا لانفسهم كيانا على اختلافات الدول المتحدة وتنافس الكتل المختلفة . كذلك لا يستطيعون بعد اليوم ان يلجأوا الى اساليب الارتجال ، كلما فتقت ازمة ارتجلوا حيلة . فالاخطار الخارجية تكتنفهم وتهدد كيانهم . والمشاكل الداخلية ترافقهم وتثقل كاهلهم ، والحيرة والارتباك يلازمان جميع محاولاتهم لمجابهة تلك الاخطار وحل تلك المشاكل .

والاخطار الخارجية التي تكتنف العرب وتعترض سبيلهم قد تنحصر في ثلاثة رئيسية .

أول هذه الاخطار هو استمرار الاستعمار في شكل معاهدات مفروضة مثل المعاهدة الاردنية البريطانية والمعاهدة العراقية البريطانية لعام الف وتسعمائة وثلاثين ومعاهدة بورسموث التي لم تصدق . ولا بد من القول ان الاخيرة هذه ، اذا درست في قرينة السياسة العالمية والظروف الاستثنائية الحاضرة ، كان يمكن ان تصدق بعد تعديل طفيف . لكن العراق لا يزال سياسياً يعيش في عام ١٩٤١ ولذلك لم يستطع ان يدرك مغزى الحوادث في عام ١٩٤٨ . وقد نشير الى اتفاقية النقد بين فرنسا ولبنان لتبيان هذه الظاهرة نفسها . ومع اني لا افهم هذه الاتفاقية من ناحيتها الفنية الاقتصادية اقول ان لبنان اقبل عليها إقبال الرجل على اقل الويلين وزراً في عرف البعض ولذلك لم يكن غير مكره تماماً في اختياره . وقد تكون هذه المسألة حلقة اخرى في سلسلة من المحاولات الافرنسية لاستعادة نفوذها في الشرق العربي عامة وفي لبنان خاصة . لان الفرنسيين ما فتئوا منذ الجلاء يحاولون التعويض عما فقدوه . فنراهم يوجهون التفاتاً خاصاً الى الناحية الثقافية فيزداد فجأة عدد المحاضرين والممثلين والموسيقيين الذين يحملون لواء الثقافة الفرنسية ازدياداً لم تشاهده البلاد حتى في اوج عز الانتداب . وجميع هؤلاء من ارباب الصناعة الممتازين . أنا لا استنكر المحاضرات العلمية

ولا الروايات الراقية ولا الموسيقى الجميلة التي جاء بهـا هؤلاء . غير انني أود ان اتحقق السبب من مضاعفة هذه الجهود الثقافية لا سيما بعد انتهاء الانتداب . ايقوى القلم على ما فشل فيه السيف ؟ كذلك لا نستطيع ان ننسى ان فرنسا لا تزال جادة في سبيل الحصول على معاهدة ثقافية تضمن للفرنسية مركزاً خاصاً ممتازاً في المدارس الوطنية .

وثاني هذه الاخطار الخارجية التي تحيط بالعالم العربي هو خطر المارد الشمالي الذي يلقي بظله على رقعة العرب المشتهاة لا طمعاً في مرها ولبانها وذهبها بل سعياً وراء آبار النفط التي تنفجر من بطن ارضها ، وهرباً من مياه البحار الشمالية المتجمدة وجبالها الجليدية التي ترتفع امام اساطيله التجارية سداً مانعاً اكثر ايام السنة ، الى موانىء مياهها احرّ وأدفا ، ولازدهار تجارته أضمن وأوفى . لست اعني ان الروس على وشك أن يزحفوا بجحافلهم الحمراء الى السواد اولاً ثم عرض البلاد العربية . غير انني أرى أن خروج بريطانيا من الشرق العربي نهائياً قد يكون الاشارة للروس ان يزحفوا لا سيما ان توقفت الولايات المتحدة عن متابعة معونتها المادية والعسكرية والادبية لكل من اليونان وتركيا وايران . وفي الوقت نفسه سيتابع الروس العمل بواسطة الاحزاب الشيوعية في كل بلد عربي ويتخذونهم طابوراً

خامساً يتسرب الى جهاز الدولة بالطرق المشروعة وغير المشروعة حتى يقوى على اقتناصها فينقض عليها انقضاض الباشق على فريسته . ولن يتورع الشيوعيون عن استعمال الاساليب الديموقراطية للقضاء على الديموقراطية نفسها . وقد مثلت هذه المأساة مرة بعد اخرى في بولندا وبلغاريا والمجر ورومانيا وآخراً (وقد لا تكون اخيراً) في تشيكوسلوفاكيا . ولست ارى لدى العرب مناعة خاصة ضد انتشار الشيوعية ، لا بل ارى ضعفاً في الجهاز السياسي والاقتصادي والاجتماعي يجعل الكيان العربي في خطر شديد . ومن لا يعتبر بما هو جار في هذه البلدان التي وقعت تحت النير الشيوعي فبه مس من الخول الفكري صعب الشفاء . ولم يبق من الحريات الفردية في هذه البلدان الا تلك التي تمتع بها مازاريك عند ما قفز من النافذة الى الموت بعد ما ابتلعت الشيوعية وطنه . وليس مرادي هنا ان اهاجم الشيوعية كنظام اقتصادي فلست من اهل الصناعة في هذا الباب . ولست اضمر عداء لفكرة الشيوعية في ذاتها كما لا اضمر عداء لفكرة الرأسمالية في ذاتها . ولا انكر على الروس ان يختاروا لانفسهم النظام الذي يريدونه بعد ان غذت جذوره تربة روسية . وتبعاً للمبدأ نفسه لن انكر على العرب اختيار النظام الذي يريدون من غير جبر او

كراهه . اما ما يفرض بالقوة او بالمكر فلا بد من محاربته في اي بلد كان . والحقيقة العارية التي تظهر امامنا هي ان الشيوعية اصبحت مطية للاستعمار ووسيلة لخنق الحريات الفردية والاماني القومية . واذا كان الشيوعيون العرب مخلصين لاوطانهم العربية فليبرهنوا اخلاصهم بقطع « الاسلاك التلفونية » التي تربطهم بموسكو وليعملوا لخير بلادهم فهي أولى بمواهبهم وأحوج لخدماتهم وجهودهم . وقد اتقن العرب قديماً فن « خيال الظل » وجميع الحيل المعمول بها فيه وهي لا تخفى عليهم سيان كان المحرك وراء الستائر قصاصا من قصاصي شارع الموسكي او رفيقاً من رفقاء موسكو .

وثالث هذه الاخطار الخارجية التي تحدق بالعرب هو قيام دولة صناعية في فلسطين تدعمها موارد اليهود المالية في العالم فتشطر العالم العربي الى شطرين وتفصل بين العرب في الهلال الخصيب والعرب في وادي النيل وتقطع الطرق التجارية في البحر المتوسط عن النهضة الصناعية التي تتفتح براعمها في البلدان العربية وراء فلسطين — هذه البلدان التي تقف الان على عتبة حياة اقتصادية جديدة . والبحر المتوسط كان ولا يزال بحر العرب بقدر ما كان بحر الروم . ان هذا الخطر الحقيقي وهو النتيجة المحتمة

لسياسة مدبرة * . وهدف كل صهيوني ، معتدلا كان ام متطرفا . هو جعل فلسطين دولة يهودية ثم توسيعها حتى تشمل سوريا ولبنان وشرقي الاردن والعراق . وليس ادل على هذا من آراء بعض المشترعين اليهود الذين يزنون كلامهم امثال نورمان بنتوش . وهذا ما قال منقولا الى العربية بالحرف الواحد :

« وليس من الضروري ان تقتصر فلسطين على حدودها التاريخية اذا أمكن للتمدن اليهودي ان يمتد الى جميع الاراضي الموعود بها من البحر المتوسط الى الفرات ومن لبنان الى نهر مصر » .

يتضح من هذا ان غاية الدولة اليهودية اذا استتب لها امر ، ان تجعل من الهلال العربي مستعمرة صهيونية مرتبطة اقتصادياتها بجبائل المال الصهيوني ومقيدة بسلاسل الصناعة الصهيونية . ولا يحسبن احد أن المشكلة هذه قد حلت او ستحل خارج فلسطين . وما قلته دوماً ورددته علناً في تموز ١٩٤٦ اردده الان : « ان مصير فلسطين لا يقرر الا في فلسطين ، ولا يبت قضية العرب الا العرب انفسهم . »

---

* كتب هذا المقال في ١٩٤٧ ثم نشر اولا في آذار ١٩٤٨ اي قبل وقوع النكبة الفلسطينية

اما المشاكل الداخلية التي ما فتئت تمتص قوى العرب وتنخر عظامهم فلم تنل بعد منهم ما تستحقه من الانتباه على الرغم من انها اشد خطراً على كيانهم من الاخطار الخارجية التي سبق ان ذكرناها . فقد انغمس العرب في اعمالهم السياسية الى حد لم يبق لديهم فيه وقت للالتفات الى الاصلاح الداخلي . وقد كان ذلك طبيعياً الى حد ، لان العقود الثلاثة الاخيرة من السنين صُرفت في الجهاد في سبيل الاستقلال ، وكانت جميع المشاكل الاخرى بالنسبة الى الاستقلال ثانوية في نظرهم ، ووقعت — لقصر نظر قومي — خارج مدى بصرهم . واليوم لا نجد اجماعاً على اي من الامرين يجب ان يلتفتوا : تعزيز الاستقلال عن طريق السياسة ام عن طريق الاصلاح ؟ اما الالتفات الى الاثنين معاً في وقت واحد فلا سبيل اليه لان العربي على ما يظهر لا يقوى على الالتفات الا الى مسألة مسألة على حدة . ولذلك نرى ان الاستقلال الذي جاهدوا في سبيله منذ ابتداء هذا القرن في خطر . فهو لا يزال يفتقر الى اساس راسخ من الاقتصاد الصحيح والادارة الحسنة والحكم النظيف والقضاء النزيه والغاية القومية الواضحة . وبيّنٌ ان الساسة العرب في جميع اقطارهم ، بسبب جهادهم الطويل ضد النير الاجنبي ، قد اكتسبوا المقدرة على العمل السلبي

ضد هذا او ذاك ، وعليهم بعد ان يتقنوا فن العمل الايجابي ، في سبيل هدف او غاية .

والمشاكل الداخلية هذه تنقسم الى قسمين . اولها ما هو مشترك بين جميع الاقطار العربية وثانيها ما هو خاص بقطر واحد دون آخر . وتبعاً للقاعدة التي سننتها لنفسي سابحث ما هو مشترك واهمل ما هو خاص ، حتى لا يقال « أجنبي تدخل في شؤون البلاد المحلية » .

اولى المشاكل الداخلية المشتركة التوفيق بين الحرية والمساواة من جهة والادارة والحكم من جهة اخرى . ولعل عجز العرب عن حل هذه المشكلة يعود بالدرجة الاولى الى أنهم زجوا ، على الرغم من أنفسهم ، بسبب الظروف الدولية التي احاطت بهم ، في ديموقراطية القرنين التاسع عشر والعشرين الغربية مع انهم لا يزالون يعيشون الى حد بعيد في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد بلغ البعض منهم في لبنان اواسط القرن التاسع عشر . فالعربي لم يخرج بعد تماماً من القرون الوسطى ، وعقليته لا تزال الى حد بعيد عقلية القرون الوسطى . وكذلك المجتمع العربي فوضعه الاساسي لا يزال ، على الاجمال ، اقطاعياً . فلا الفكرة القومية الحديثة ولا النظام الاقتصادي الصناعي استطاعا بعد ان يغيرا وضعه السياسي والاجتماعي

أما الاخذ بمظاهر الديمقراطيه الغربية في بعض الاقطار العربية فأقرب الى التقليد منه الى الاقتباس . لان الديمقراطية الغربية تقوم على التهذيب الالزامي العام وانعدام الامية واتقان الاغلبية الساحقة القراءة والكتابة وانتشار الصحافة الحرة في جميع انحاء البلاد . وهذه كلها ليست متيسرة حتى في لبنان الذي يحسب حقاً ارقى الاقطار العربية . اما السعودية العربية واليمن ، على الرغم من انهما من اعضاء الدول المتحدة ، في حين لا تعترف هذه المؤسسة العظيمة بفلسطين العربية ولا تحسبها بعد كفؤاً للاستقلال ، فهما لا يزالان وراء فلسطين وسائر الاقطار العربية قرونا . ومن الطبيعي ان نجد تفاوتاً حتى في انحاء البلاد الواحدة بالنسبة الى هذه الامور ، فقد تزيد نسبة الاميين في بلد عنها في بلد آخر ويفوق انتشار الصحف في قطر انتشارها في قطر آخر ، وتختلف درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة في مصر عنها في مصر آخر غير ان وجودها كلها ضروري لقيام الحكم الشعبي وللتوفيق بين حرية الفرد ومطاليب الادارة وبين المساواة ومطاليب الحكم . فعلى العرب في جميع اقطارهم ان يأخذوا بهذه الاسس الضرورية لاي حكم ديموقراطي وأن يكيفوها حتى تتلاءم مع تقاليدهم وتفي بحاجاتهم ومقتضيات مستقبلهم . وعلى العرب ان يتركوا

التقليد الذي يتعلق بالمظاهر الخارجية ويعملوا بالاقتباس والاختيار (وفي الاختيار دلالة على الحياة والحرية) اللذين يأخذان بالجوهر دون العرض وبالروح دون الحرف .

وثانية المشاكل الداخلية المشتركة فقدان سلك مدني يقوم بمهام الادارة والحكم ويعطي جهاز الدولة نعمة الاستمرار والتقدم . فالحكومات المنتدبة التي جاءت في اثر العثمانيين اعتنت بايجاد سلك من المترجمين والكتبة لا غير . ولما اشرق العهد الجديد عهد الاستقلال ، قام على شؤون الدولة واحد من اثنين : وطني غيور او انتهازي مغامر . الاول عقيم في فن الحكم الايجابي والثاني فاسد لا رجاء في اصلاحه . الاول مدان بضعفه واهماله والثاني مدان بمكره واعماله . لذلك ترى دواوين الدولة في قطر عربي بعيدة عن الترتيب والتنظيم لاتعرف الدقة في العمل ولا المحافظة على الوقت وليس للموظف من امر الوظيفة الا النفع المادي ، مع ان الوظيفة امانة في عنق الموظف يجب ان يؤدي عنها حساباً لدافع الضرائب . ولدافع الضرائب في الديمقراطيات الاصيلة مركز وجاه وقوة . فلن تراه ابداً ينتظر قضاء حاجة من الفجر الى الغسق بل يطلب ويحصل على حاجته حالاً . ولا يطلب رضى الموظف بل الموظف يطلب رضاه فيسهل له حاجته لان الموظف موظف لدى دافع

الضريبة وبقاؤه في وظيفته او عدمه يتوقفان اولاً وآخراً على دافع الضريبة . واعظم سلاح لدى دافع الضريبة هو صندوق الاقتراع الذي لا يسمح له يوماً ان يصبح « صندوق عجب »

وثالثة المشاكل الداخلية المشتركة فقدان الخبراء الفنيين واهل الاختصاص في اكثر نواحي الحياة العملية . فكلما أراد قطر عربي ان يدرس امراً استدعى خبيراً اجنبياً . فمنذ عام ١٩٤٥ (عندما عدت الى عالم العرب الاحياء) امّ البلاد بدعوة من هذه الحكومة او تلك خبراء مدرسيون وخبراء ماليون وخبراء زراعيون وخبراء في الاصطياف وخبراء صناعيون درسوا فروع اختصاصهم وقدموا فيها تقارير لا لشيء الا لتهمل لفقدان الخبراء الوطنيين الذين يستطيعون حل رموزها . وما يصدق على الخبراء يصدق على اهل الاختصاص في الصناعات المختلفة والنواحي الاقتصادية العديدة . ولا يشذ عن هذا الا الطب حيث نجد بعض الاختصاص ، وفيما سواه فالخبراء واهل الاختصاص لدى العرب كالكبريت الاحمر . متى نستطيع ان نشرف على استغلال موارد البلاد الطبيعية من معادن ونفط ومياه بدون ان نستعين بالغريب ؟

ورابعة المشاكل الداخلية مشكلة العلاقة بين الدين والدولة . وقد سبق لي في هذا الموضوع ابحاث . لذلك

اقتصر على القول إن على العرب ان يعالجوا هذه القضية ويوجدوا لها حلاً يعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله . لان بحل هذه المشكلة منوط حل المشاكل المنبثقة منها كمشكلة الاقليات وما يرافقها من خطر التدخل الاجنبي ، ومشكلة الطائفية التي مسخت الدين نفسه الى مصلحة واستقرت في البلاد اساساً للسياسة والحكم وحالت دون قيام الاحزاب السياسية الصحيحة الفعالة وجعلت الديموقراطية في العالم العربي حديث خرافة ، ووقفت سداً في سبيل الوحدة القومية .

ولعل اعظم هذه المشاكل الداخلية خطراً المشكلة الخامسة والاخيرة ، وهي فوضى الاهداف القومية ، فهنالك دعاة الوضع الحاضر وجامعة الدول العربية على حالتها الحاضرة . وهنالك من يدعو الى سورية كبرى ، وهنالك من يريد لبنان خارج الجامعة العربية لا بل خارج الدول العربية ، وهنالك دعاة الجامعة الاسلامية واحياناً نرى اثر اليد الاجنبية في هذه الدعوة او تلك مما يعقد الامر ويجعل الحلول الطبيعية بعيدة .

دعاة الوضع الحاضر يحسبون الجامعة العربية غاية ما يجب ان يبلغه العرب في تطور علاقاتهم بعضهم ببعض . وعندي ان في هذا الموقف فوزاً موقتاً للاقليمية . اقليمية غيور على الطابع الخاص الذي يطبع هذا القطر العربي او

ذاك وتخشى لاسباب حقيقية واخرى وهمية ان تفقد طابعها لذلك نراها تعزز الفوارق وتضع النبرة على الاختلافات وتمر مرّ الكرام على العوامل المشتركة التي تقرب بين افراد الاسرة العربية وتوحد بينهم . وقد تكون هذه الاقليمية نفسها خطوة ضرورية في تطور العلاقات العربية . على انه من الخطأ ان نحسب الجامعة العربية وهي وليدة الامس قد استكملت نموها بعد ، ولا حاجة بنا الى ان نحشر قدميها في قالبين حديديين شأن صيني القرون الوسطى مع بناتهم .

ولن اتوسع في قضية سورية الكبرى لانها لن تتم ما لم تفرض بالقوة . ومع ان للفكرة نفسها محاسن ومبررات ارى أنها قد لاقت حتفها على ايدي اصحابها . فسوريا الكبرى حسب برنامج جلالة الملك عبدالله تمثل بالدرجة الاولى مطامع شخصية ، وسوريا الكبرى حسب برنامج الحزب القومي السوري اساسها شعوبية تستوحي الماضي وهي في ذلك شبيهة بالفينيقية . ولن يجد العرب لهما حلًا الا عندما تحل مشكلة العلاقة بين الدين والدولة . وبقاء هذه المشكلة الاساسية هو احد الاسباب الرئيسية التي تدفع بالبعض الى المطالبة بعزل لبنان عن الاسرة العربية وجعله وطناً قومياً لنصارى الشرق . ولنا ان نسمي هذه الفترة من التاريخ

فتر الاوطان القومية . فهنالك الوطن القومي اليهودي والباكستان والوطن القومي لنصارى الشرق في لبنان . تختلف هذه الثلاثة في قرائنها التاريخية وغاياتها الاصلية والثانوية كما تختلف في اساليبها . غير انها كلها تجتمع في صعيد واحد هو ربط القومية بالدين واقامتها عليه . ولا يتعدى الشبه هذه النقطة النظرية . لاسيما فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي الذي يتصف بالعدوان واشفق ان اضع الآخرين الى جانبه . وفكرة الاوطان القومية تسيء الى الدين اولا والى القومية ثانياً والى الغاية التي من اجلها انبثقت هذه الاوطان – وهي ضمان حقوق الاقليات اليهودية في العالم والاسلامية في الهند والنصرانية في الشرق العربي .

وكما نجد البعض يدعون الى وطن قومي لنصارى الشرق في لبنان ويقرون ضمناً وجوب اقامة القوميات على اساس الدين نجد آخرين يدعون الى جامعة اسلامية ولا يحسبون الجامعة العربية الا خطوة اولى في سبيل تحقيقها . منهم احمد حسن الزيات . فقد قال في الرسالة (عدد ٧٣٠ – ٣٠ حزيران ١٩٤٧) في مقال افتتاحي تحت عنوان « الجامعة الاسلامية هي الغاية » ما يلي :

... « فالجامعة الاسلامية هي الغاية المحتومة ... والوطنية العربية (العربيه) لا تعارض الجامعة الاسلامية (الاسلامية)

ولكنها تفارقها في الطريق لتلاقيها في الغاية » .

ومن البديهي ان هذه الافكار تثير مخاوف الاقليات ... وتدفعها عن احضان العروبة الى سراب الحمايات الاجنبية والاوطان القومية . وعلى العرب ان يبحثوا هذه المشكلة العويصة برحابة صدر واخلاص حتى لا تخسر العروبة احداً من ابنائها (مدللاً كان ام عاقاً) . ولا ينفعنا ان نتراشق كواشين الخيانة والوطنية ولا شهادات التعصب والتساهل .

هذه اذاً هي الاخطار الخارجية التي تحدق بالعرب والمشاكل الداخلية التي تعترض سبيلهم . والمنهاج العملي الذي أرتئيه يتطلب اولا ترتيب البيت العربي ، وتحديد علاقات افراد الاسرة العربية بعضهم ببعض ثانياً ، وتحديد علاقات الاسرة العربية بالاسر العالمية الاخرى ثالثاً .

فلترتيب البيت العربي ارتئي ما ارتأيته لاول مرة في مستهل عام ١٩٤٦ عندما قدمت للعرب برنامجاً يحتوي على ست نقاط يمكن تطبيقها او على الاقل الشروع فيه حالا في كل قطر عربي . وسأقتصر على تعدادها فقط لاني شرحتها اكثر من مرة قبلاً . فهي اذاً اولا : فصل الدين عن الدولة ، ثانياً : ازالة الطائفية من حياة العرب السياسية ، ثالثاً : تثبيت الحكم البلدي في جميع انحاء البلاد العربية واشتراك الشعب في الانتخابات الحرة وتدبير الحكم ،

رابعاً : تأسيس احزاب سياسية تقوم على المبادىء لا على الشخصيات والعائلات والاقطاع ، خامساً : وضع منهج الزامي للتهذيب الوطني والعمل على تنفيذه ، سادساً : اطلاق الحرية التامة للصحافة . ولا علاقة لهذا المنهاج بالسحر مع ان في تنفيذه السحر كل السحر . ومتى تيسرت هذه لدى العرب يصبح للاستقلال معنى وحقيقة ونصيب في الحياة والبقاء . وبدونها يبقى سرابا او برقاً خلبا .

وبعد ترتيب البيت العربي وتزيين جميع غرفه – عندما يعزز الاستقلال السياسي والاقتصادي والفكري في كل قطر عربي ويستقر الحكم الشعبي الواعي في جميع انحاء البلاد العربية وتعين الحقوق والواجبات الدستورية في كل بلد من بلدانه – عندئذ يترتب على العرب ان يخطوا خطوة اخرى واسعة يشير اليها نطق الحوادث العالمية . فالعرب اليوم على مفترق الطريق بين الاقليمية والوحدة . فان سلكوا طريق الاقليمية انتهوا الى بلقان عربي تتناحر دويلاته وتتقاتل حتى تفني بعضها بعضاً او تقع فريسة لدب جائع او اسد مفترس . واذا سلكوا طريق الوحدة انتهوا الى ولايات متحدة عربية تضم خمسين مليوناً من العرب في سبع ولايات على الاقل ، متضامنين على الخير ، محترمين من الغير ، آفاقهم غير محدودة ، أيامهم غير معدودة .

وعندي ان تقتصر هذه الوحدة الفدرالية ، في بادىء الأمر ، على العراق وسوريا ولبنان ومصر * كولايات على النمط الاميركي على ان تنضم اليها فلسطين عندما تنجلي عنها هذه الغمامة ، وشرقي الاردن والمملكة السعودية واليمن عندما يستقر فيها الحكم الشعبي وتحدد فيها المسؤوليات الدستورية . وتستبقي في هذا النظام الفدرالي كل ولاية باستقلالها ومجالسها النيابية ومحاكمها وحاكمها المنتخب وتساهم في الحكومة المركزية في مجلسين : واحد حسب نسبة السكان وآخر اعلى تمثل فيه كل ولاية تمثيلاً متساوياً . اما الرئيس فينتخبه الجميع انتخاباً مباشراً وتقام محكمة عليا للسهر على حقوق الافراد والولايات ولحراسة الدستور وتفسيره .

قد لا يتم هذا قبل خمسين سنة او مائة سنة ، غير انه لا محالة تام في يوم من الايام . وما الخمسون السنة او المائة السنة في حياة الشعب الا كالسنة الواحدة في حياة الافراد وان غداً لناظره قريب .

وبينما يسير العرب رويداً رويداً في طريق الاتحاد فالوحدة ، عليهم ان يضعوا لانفسهم خطة موحدة تجاه

* هذا ما كنت اعتقده عندما كتبت هذا المقال . اما الآن فأرى ان تبقى مصر خارج هذه الوحدة الفدرالية لاسباب عديدة لا مجال لذكرها الآن.

العالم وقضاياه الملحة ، لان التيار العالمي الجارف لا يقف لهم ولا لغيرهم . واذا لم يأخذوا لانفسهم الحيطة ابتلعتهم مياهه الهائجة . وهذه القضايا الملحة ثلاث :

اولاها تعيين موقف العرب من روسيا والشيوعية . فقد حان الوقت لنقف ونحصي ولنعلن للملأ قبل فوات الأوان ان بيروت ليست بخارست ، وان دمشق ليست بلغراد ، وان بغداد ليست براغ ، وان العرب الذين جاهدوا هذه السنين الطوال لم يجاهدوا في سبيل حرية القفز من النافذة بل في سبيل العيش والحياة والمساهمة في التاريخ مساهمة حرة .

وثانية هذه القضايا اقرار علاقاتنا مع الجبهة الديموقراطية ، اذ ان الحياد كما بيّنت في مستهل كلامي ، اسطورة وخرافة لا بل فخ . انا اعرف ان بيننا وبين الديموقراطيات مسائل معلقة وحسابات . غير ان الفكرة الديموقراطية تجمعنا ، فعلى العرب ان يعلنوا وحدة أهدافهم مع الجبهة الديمقراطية وان يصفوا حساباتهم مع بريطانيا واميركا وفرنسا لقاء شروط واضحة معقولة تضمن ما جاهدوا في سبيله وتعزز الحكم الشعبي الحر في العالم . وعلى العرب وعلى أفراد الجبهة الديموقراطية ان ينسوا ، في هذه الخطوة الجريئة ، قليلاً من التاريخ الحديث وان يتلاقوا في منتصف الطريق قبل ان تسطو

عليهم روسيا واحداً واحداً تبعاً للخطة التي ورثتها عن المانيا النازية .

وثالثة القضايا هذه التي لا يستطيع العرب ان يرجئوها بهزة رأس وقول «بكرة» هي قضية موارد البلاد الطبيعية ، لا سيما النفط ، والسياسة التي يجب ان يتبعها العرب في طرق استثمارها . فمواردنا الطبيعية عظيمة الاهمية ، غير ان اكثرها مستغل بطرق قديمة او لا يزال في بطن الارض دفيناً . والمستثمر بوسائل حديثة يستغله الاجنبي لمنفعته عن طريق امتيازات فيها كثير من الاجحاف بحقوق البلاد . والعالم اليوم في حاجة ماسة الى هذه الموارد ، ولا يستطيع العرب ان يحولوا دون وقوعها في ايدي الاجانب الا اذا قاموا هم باستثمارها لمنفعة الشعب فيستفيد منها العالم ويسد حاجته دون ان يلحق بالعرب أذى .

وعلى البت السريع في هذه القضايا الثلاث قد يتوقف مستقبل العرب في جميع انحاء بلادهم .

السر في الساعد

لا في السيف

ألقيت* منذ أشهر معدودات كلمةً في موضوع تاريخي معين تصديت فيه الى احدى البدع التي ألمت بهذا البلد ، فانقسم السامعون الى فئتين ، فئة محبذة غالت في المديح والاطراء ، وفئة مستنكرة تمادت في القدح والهجاء . وكان ذلك كما توقعت وانتهى الامر . الا أن عدداً من المتطفلة الفكريين الذين لم يسمعوا تلك الكلمة ولم يقرأوها عندما تناولتها الجرائد المحلية زجّوا بأنفسهم في غبار تلك المعركة الكلامية وجادوا ، من دون ما طلب او سؤال ، على الناس بآرائهم في الكلمة . فقال واحد : « لم يأت المتكلم بجديد » ، وقال ثان وهو ينتفخ عنفواناً فكرياً : « لا بأس . الا أن المتكلم لم يكن عميقاً في بحثه » وقال ثالث : « انه لم يتلمس في الكلمة نظاماً فلسفيا لحقيقة العالم والنظام

*محاضرة القيت في « وست هول » في جامعة بيروت الاميركية في ١١ كانون اول ١٩٤٧

الشمسي والانسان والله » . وقال رابع : « ان المتكلم لم يحلق في سماء الفكر » . وقال خـــامس « حبذا لو تجرد المتكلم عن العاطفة » .

تذكرني هذه الفئة بأبي عبدالله المازري المتوفى ٥٣٦ هـ الذي طعن بالغزالي وكفره وطالب باحراق كتابه « احياء علوم الدين » دون ان يطلع عليه لا بل باهى قائلاً لمن سأله عن حال حجة الاسلام وحال كتابه الاحياء ما يلي : « هذا الرجل وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته واصحابه . فكل يحكي لي نوعاً من حاله وطريقته فـأتلوح بهـا من سيرته ومذهبه ما قام لي مقام العيان » .

وقبل ان ابدأ مقالي الان ، اود ان اعلن امامكم مـا يلي راجياً ان تنقلوه الى اولئك « المازريين » الغائبين حتى لا يكلفوا انفسهم عناء العلك ويحتفظوا بمظهر الامانة الفكرية التي لا يعرفونها وشبه احترام النفس الذي يفتقرون اليه .

لن آتيكم فيما يلي بجديد ، ولن اغوص امامكم او بكم الى اعماق التفلسف ، ولن اتخبط في طبقات الفكر المتجمدة ، ولن تبلغ بي القحة حتى اعين للاكوان نظاماً وللخلائـق مصيراً ، ولن اهش على الله بعصا افلاطون المثاليـة ولن احيط بعلمه بمقولات ارسطو وتاسوعات افلوطين . واخيراً لن اتجرد عن العاطفة لأن العاطفة من جوهر الانسانية ولن استخف

بشيء إنساني أو ازدريه .

احدثكم اليوم في وسط هذه المحنة التي ابتلينا بها كفرد من افراد الشعب لا يتخفى وراء لقب علمي ولا يتحصن فوق كرسي جامعي او تحته ولا يطلب حصانة ما . وموضوع كلامي خارج عن دائرة اختصاصي العلمي . غير اننا نحن طلبة العلم لنا شخصيتان : شخصية البحث والتنقيب التي تصل الليل بالنهار لضبط اسم او علم او تعيين مقطع او حرف ، او اثبات قضية تتعلق بحياة الدبابير الجنسية او نفيها بتجرد الجماد وثبات الصخر ، وشخصية الوعظ والتوجيه التي تحاول أن تربط مناهج التعليم بفكرة روحية تبعث الوعي الاخلاقي في الفرد أولا وفي المجموع ثانياً . والخط الفاصل بين هاتين الشخصيتين واضح لدى طالب العلم وان اختفى احياناً على الجماعة . لذلك نرى اسامة بن منقذ يمهد للقسم الثالث من مذكراته « كتاب الاعتبار » (ويبحث ذلك القسم في اخبار الصيد) ببيت من الشعر يقول فيه :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب

وأنا أقول محرفاً قول اسامة :

وللدرس مني جانب لا اضيعه وللهو مني والسياسة جانب

●

في سنة ثمان للهجرة بعث الرسول عليّا الى مناة وكانت

منصوبة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . فلما وصلها هدمها واخذ ما كان لها واقبل على النبي . وكان فيما اخذ سيفان كان الحارث بن ابي شمر الغساني اهداهما لها . احدهما يسمى « مِخذَما » والآخر « رسوبا » . فوهبهما النبي لعليّ . ويقال ان « ذا الفقار » احدهما . وجاء في رواية اخرى ان « ذا الفقار » هذا كان سيف العاص بن منبّه بن الحجاج احد الفتية ظالمي انفسهم قتله علي في بدر واخذ سيفه . ومهما كان الامر فذو الفقار الذي شهره علي فيما بعد لنصرة الحق شهرته قبلًا أيدٍ في خدمة الباطل . فالسر في الساعد لا في السيف ، وفي الغاية التي يشهر في سبيلها .

وما السيف في عصر الذرة الا رمز الكفاح والجهاد المستمر في خدمة قضية او في سبيل دعوة .

السيف كما ذكرت رمز للجهاد المستمر لا للآيات والعجائب . ومن اصنام العرب المعبودة اليوم الارتجال وانتظار الآيات والعجائب على ايدي قديسين واولياء اجانب . فقد جرى العرب من بدء عهدهم على الارتجال . فمن زمن قس بن ساعدة حتى يومنا هذا ونحن نصغي الى فلان يرتجل والى آخر يعارضه مرتجلًا . ولا تنحصر هذه الظاهرة في الشعر بل تتعداها الى اكثر مشاريع العرب العمرانية

والاقتصادية ومساعيهم السياسية والقومية وحياتهم الاجتماعية والعلمية . فاكثر الشركات التجـــارية الموجودة اليوم في البلدان العربية قامت على الارتجال وتسير بموجبه . واكثر المؤسسات الثقافية مرتجلة وكثير من المدرسين لا يعرفون الا الارتجال طريقـة للتعليم ومنهم من يخجل من الاستعداد ويرى في الرجوع الى قـاموس او مصدر او مرجـع عاراً على سمعته العلمية . وجهاد العرب القومي لا يزال يتصف بالارتجال وكان كذلك من مؤتة الى ميسلون . واذ نال العرب بعض النجاح احيـانا في مشاريعهم ومساعيهم عـلى الرغم من صفاتها المرتجلة خدعوا وقالوا ان الامور بخواتيمها فصدفوا عن الاستعداد والتنظيم ، وهم الآن اذ يرون الاخطار الخارجية تكتنفهم والمشاكل الداخلية تثقل كاهلهم يتأففون ويصرخون « آه لو كان لنا ايمـان ساعة » . وبالفعل صدر منذ عهد قريب كتيب لاحد الاصدقاء العاملين الذين ضحوا في سبيل القضية ما ضحوا وبذلوا في سبيلها النفس والنفيس يعالج مشكلة من اصعب المشاكل التي تجابه العرب . اما الدواء الذي يصفه فايمان ساعة . وكان الاحرى وهو العامل المضحي ان يصف عمل سنة .

ان السيف رمز للكفاح والجهاد المستمر لا للارتجـال ولا لانتظار الآيات والعجائب على ايدي قديسين واوليـاء

اجانب . وكيف تتلائم هذه الحقيقة مع ما يحدث لنا في مجابهة مشاكلنا . لنأخذ مثلاً مشكلة الامية . فهناك من تصدوا الى هذه المشكلة والقضاء عليها وانبروا لمعالجتها باساليب مجربة محكمة . وهم لا يزالون يسعون الى غايتهم بشتى الوسائل . وبين هؤلاء احد اساتذة الجامعة الاميركية ببيروت الاستاذ جورج شهلا . فقد كتب كتابا في مكافحة الامية وضعه منذ سنوات واستعمل في انحاء البلاد العربية فكانت النتائج مرضية . والكتاب هذا وضع ملائماً للابجدية العربية والاشكال التي تتخذها حروفها في اوائل الكلمة وفي اواسطها وفي اواخرها وما تنطوي عليها تلك الاشكال من إشكال . غير ان طلاب الآيات والعجائب من العرب لم يرضهم هذا الاسلوب لا لسبب سوى ما يتطلبه منهم من عمل . فاستدعى على ما قيل ملك من ملوكهم موسى اجنبياً ليضرب صخرة الامية بعصاه ويفجر منها ينابيع القراءة في لحظة عين . وتقدم هذا باسلوب مبني على الاحرف اللاتينية وهي كما تعلمون ثابتة الشكل لا تتغير بتغير مراكزها في الكلمة . وعلى الرغم من ان هذا الاسلوب لا يلائم اللغات التي تستعمل الابجدية العربية اداة للكتابة ولا اللغات التي تتكل على تقليد كتابي عريق ، يرتئي صاحبنا هذا ان يقضي على الامية في مدة لا تتجاوز مائة وخمسين دقيقة

لكل شخص . ولو فرضنا ان اللبخ والتلبيخ اللذين يرتئيهما لوباخ سينجليان عن آية الآيات في مائة وخمسين يوماً بدلا من مائة وخمسين دقيقة وتعلم الاميون القراءة فماذا نضع في ايديهم ليقرأوه . ان الطريقـــة الوحيدة لمكافحة الامية والقضاء عليها هي تغيير حياة العامة وقلبها رأساً على عقب حتى تصبح القراءة من ضروريات الحياة لا من كمالياتها . وهـذه تتطلب عملاً منظماً وجهداً مستمراً ولا يأتي ولن تأتي بآية او اعجوبة مهما كانت جنسية القديس او الولي :

ولنأخذ مشكلة اخرى تجابه البـــلاد ، وهي مشكلة التشجير حتى تعود هذه الجبال الجرداء الى سابق عهدها . فنحن نجد مثلاً في اعالي هذه الجبال معاصر للزيت والخمر تدل دلالة واضحة على ان الزيتون والكرمة كانا يكسوان جبال لبنان الى حد عال بعيد ، اذ ان من المستبعد ان تجمع هذه وتحمل الى اعالي الجبال لعصرها . ولاصدقاء الشجرة وغيرهم فضل عظيم ملموس في الالوف من الاشجـــار التي غرسوها واعتنوا بها وحرسوها من الغنم والماعز . غير ان هـذا الاسلوب لم يجد عطفاً من طلبة الآيات والعجائب . فكان ما كان منذ أشهر وحلقت طائرة اميركية فوق ربى كنيسة وحرمون وبذرت من عل الملايين من بزر الارز . ولكن هل سأل احد اذا كانت سفوح كنيسة العامودية تستطيع

ان تحتفظ بهذه البزور ، او اذا كان باستطاعة احد ان يبقي العصافير الجائعة بعيدة عنها ، او يمنع فيران الحقل النهمة من التهامها ، او النمل المجتهد من حملها الى قراها . ولو قبض للنزر القليل من البذور ان يدرك تربة صالحة ويضرب جذوره في بطن الارض ثم ينمو فمن يحمي النبت الغض من اضراس الماعز الموجود في كل مكان . لا يا سادتي . ان تشجير الجبال الجرداء هذه لا يأتي ولن يأتي بآية أو أعجوبة مهما كانت جنسية القديس او الولي . ان الطريق الوحيدة لتشجير لبنان وغير لبنان هي الطريق التي نراها في قرى هذا الجبل القديمة ، والطرق التي اتبعها اجدادنا عندما جللوا اراضيهم الوعرة الجبلية وزرعوها كرماً واعتنوا بها سنة بعد سنة حتى اصبح عنب بحمدون مثلاً معروفاً في جميع انحاء البلاد العربية .

ان السيف رمز للكفاح والجهاد المستمر لا للارتجال . وكيف تتلائم هذه الحقيقة مع الطريقة المرتجلة التي اتبعها اكثر ممثلي العرب في منظمة الدول المتحدة في عرض القضية الفلسطينية . وسأذكر لكم حادثة هي النموذج لذلك الارتجال : كنت في نيويورك في اثناء الصيف * وفي العاشر من شهر ايلول اتصل بي اثنان من العاملين في القضية

* ١٩٤٧

الفلسطينية وطلبا اليّ ان اهيىء لهما دفاعاً عن القضية ليقدماه الى هيئة الامم المتحدة في السادس عشر من الشهر نفسه . ولما اعتذرت لان الامر يتطلب غير الارتجال اسلوباً عتبا عليّ . وعندي ان من الاسباب التي ادت الى فشل القضية الفلسطينية في بحيرة النجاح هو الارتجال الذي اتصفت به اكثر اعمال الممثلين العرب . والآن وقد انتهى دور الكلام وجاء دور العمل ، أيبقى الارتجال ملازماً لنا في حركاتنا وسكناتنا .

آفة العرب الارتجال وبلاؤهم ايمان ساعة وشقاؤهم انتظار آية وخلاصهم عمل سنة لا بل العمل الدائم والجهاد المستمر .

ولا بد للعمل الدائم والجهاد المستمر ان يتخذا اتجاهاً ايجابياً بدلاً من السلبية التي لا تزال مستولية على العقلية العربية . فطوال خمس وعشرين سنة والعرب متحدون ضد شيء لا على شيء . وقد تلاشت وارتفعت هاتيك الظروف التي اجبرتهم على اتخاذ السلبية دينا وديدنا ، اما العقلية السلبية فلا تزال بعرف الاستمرار مستقرةً في افئدتهم. ولست انكر أن للسلبية في حياة الافراد والجماعات فائدة معينة في ظروف معينة . فالحركات التحررية من الظلم والاستبداد والاستعمار تتخذ الطابع السلبي حتى يلفظ العدو من البلاد . غير ان طور البناء والعمران لا يتم الا

بالاعمال الايجابية المستمرة . وقد آن لنا نحن العرب ان نخلع عنا العقلية السلبية كما خلعنا في اكثر انحاء البلاد النير الاجنبي وأن نتخذ الايجابية في جميع اعمالنا ومساعينا . ولست انكر ايضاً ان الحركات التحررية كثيراً ما تكون بحكم الضرورة مرتجلة وكذلك الاستقلال نفسه قد ينتزع من المستعمر ارتجالا ، غير انه لا يصان ولا يدوم الا بالسهر الدائم والجهاد المستمر والعمل المنظم الايجابي . لذلك لا أبالي اذا قيل ان استقلال البلدان العربية جاء عن طريق الارتجال ، غير انني ابالي اذا لم يعقب الاستقلال المرتجل عمل ايجابي منظم وجهاد مستمر لصونه من الاخطار الخارجية والداخلية على السواء . فقد كان عنفوان المستعمر وظلمه تحدياً للنفس العربية واستفزازاً لها فهبت في وجهه ، وردته واظهرت ان في جوهرها من القوة الكامنة ما في الذرة واكثر . غير ان الخطر الذي يجابه العرب اليوم هو ان يحسبوا ان دور الكفاح قد انتهى وان النصر قد تم لهم بعد ان فازوا في معركة او معركتين . وامامهم بعد معارك عديدة غير معركة المعارك في فلسطين . امامهم معارك عديدة لينزعوا نير الجهل والفقر والمرض والبطالة عن اعناق الشعب حتى يثبت الكيان الجديد ويحفظ ويكون له معنى وحقيقة ونصيب في الحياة والنمو . ولا يسع العرب ان

يقفوا او ان يستريحوا لان الوقوف تأخر والاستراحة تدهور والسكون موت . ولا يسعهم كذلك ان يلجـــأوا الى الآيات والعجائب على ايدي قديسين واولياء اجانب في حل المشاكل التي تعترضهم . لذلك ارى انه من السخافـة ان نرتب مستقبل العرب على نمو المؤسسات التعليميـة الاجنبية في الشرق الاوسط مثلاً كما يرتئي البعض . وهي سخافة منبثقـة من روح الاتكالية الـتي لا تزال تجري في عروق البعض منا . ان مستقبل العرب الثقـافي يتوقف على نمو المؤسسات التعليمية العربية الخصوصية مثل كلية المقـــاصد والمدرسة الاهلية والكلية الوطنية في الشويفات التي ارى في كل واحدة منها نواة صالحة لجامعة وطنية . نعم ان المرحلة التي يجب ان تقطعها كل واحدة من هذه المؤسسات حتى تنمو الى ملء المستوى الجامعي طويلة وعسيرة . غير اننا لا نستطيع ان نستعين « بجيب » علمي اذا اردنا ان نثبت اننا شعب جدير بالحياة وكفء بالتبعات الملقاة على عـاتقنا في مهرجان الامم الحية .

وهنا اريد ان اتصدى لقضيـة لا تزال تثار حيناً بعـد حين هذه القضية هي قضية جـامعة وطنية في بـيروت أو غير بيروت . وقـد يظهر لي ان جميع الذين يهمهم هـذا الامر يتصدون له اعتباطاً وارتجالا . فمنهم من يقول بانشاء

شركة تجارية ذات اسهم تخصص لبناء الجامعة . وآخرون يقولون بان على الجامعة العربية والحكومات العربية ان يكتتبوا بالمال لانشاء جامعة وطنية . ومع ان هذين الفريقين على خطأ كما سأبين ، افضلها على الذي ينتظر آية من قديسين واولياء اجانب من الاميركيين كانوا ام من الفرنسيين ام الانكليز ام الروس ، ويرى ان مستقبل العرب الثقافي يتوقف على نمو المعاهد التعليمية الاجنبية .

اما خطأ الفريق الاول الذي يدعو الى المساهمة التجارية لبناء الجامعة فواضح لمن له اطلاع على ميزانيات الجامعات. ولست اعرف جامعة تستحق هذا الاسم لا تظهر عجزاً سنوياً في ميزانيتها يسدد بالهبات من الخريجين والاصدقاء . اما خطأ الفريق الثاني فواضح ايضاً لمن له اطلاع على مقومات الجامعة واهمها العمدة والمكتبة والمختبر . وقد يستطيع المال ان يجهز اية جامعة بالثالث منها ، اما العمدة والمكتبة فلا ينموان الا بالتدريج . واذا اخذنا الجامعة الاميركية مثالا نرى انها نمت بالتدريج مع السنين من بداءة وضيعة . فالطريقة الوحيدة لايجاد جامعة وطنية هي ان يتبنى الشعب مدرسة من المدارس الموجودة اليوم ويرعاها بعنايته فيضيف اليها كل عام صفاً ويزيد دوماً في عدد الكتب في خزانتها ويسدد عجز ميزانيتها بهبات ووقف عليها اخرى فلا تنقضي

مدة والا في البلاد جامعة . وغير هذه الطريق فلا يوجد .

واسمحوا لي ان ابدي رأياً في اهمية المدارس الخصوصية الوطنية وتفضيلها على سواهـــا ، اذ لا تضمن حرية الفكر والقول والكتابة والتعليم الا في المدارس الخصوصية ، اما المدارس الحكومية فعرضة للتدخل السياسي والضغط السياسي . فكثيراً ما تخفض ميزانية هذه الجامعة او تلك في العالم الجديد لان ابن احد النواب فشل في الامتحان او لان احد الاساتذة عارض مشروعاً كان قد تبناه ذلك النائب او لان رئيس الجامعة ينتمي الى حزب سياسي آخر . امـــا المدارس الخصوصية فبعيدة عن مثل هـذه الاخطار يشرف على ادارتها مجلس امناء ينتخبـــه خريجو الجامعة انفسهم فيمثل جميع الاهواء والمشارب ولا يرضخ لوعـد او وعيد ويرفض المساعدات المالية حرصاً على استقلال المعهـد الفكري . ومن البديهي ان على الحكومـــات ان تعزز المدارس الابتدائية والثانوية وتجعل الالتحاق بها الزامياً على كل فرد . وعليها ان تهيء الفرصـــة لمن اراد من ذوي المقدرة والكفاءة ان يتابع دراسته العـــالية في كلية او جامعة . غير ان حرية الفكر المطلقـة لا تعيش في ظل المدارس الحكومية مهما كانت الحكومات ديموقراطية ومهما كانت نزيهة ، فتـأتي المدارس الخصوصية مكمّلة للمدارس

الحكومية ومسددة نقصها الاساسي . ولا حـاجة لي ان استشهد بالتاريخ الحديث للتدليل على هـذه النقطة الاساسية او ان اسرد الظروف التي اكتنفت فصل احد الاساتذة العرب من معارف احد الاقطار العربية . ولولا خوفي ان يقال « أجنبي يتدخل في شؤون البلاد الداخلية » لأفصحت . لذلك آليت على نفسي ان لا اتصدى الا الى المشاكل التي تشترك فيها جميع الاقطار العربية على السواء .

ودفاعي عن المدارس الخصوصية يفـترض ان جميعها وطنية . لان مشكلة المدارس الاجنبية في البـلاد العربية مشكلة عظيمة . ويجدر ان انبه العرب انها على علاتها قد أدت خدمة جلى للبلاد . وانه يستحيل الاستغناء عنهـا ما دامت مدارسنا الوطنية على حالتها الحاضرة من التأخر . ولا يهمل الانسان لباساً قديماً قبل ان يصطنع لنفسه واحداً جديداً . فحل هذه المشكلة الاساسية ايضاً مرهون بالعمل الايجابي المنظم .

ورب قائل ان اكثر المدارس الخصوصيـة مدارس طائفية ، ونحن نحاول عبثاً ان نسحق رأس ذلك الثعبان . انا اسلم بهذا غير ان املي عظيم ان هـذه المدارس ستخرج يوماً من نطاقها الطائفي المحدود الى النطاق الوطني الواسع فالنطاق العالمي ، فيؤمها الطلبة من جميع الطوائف ومن جميع

البلدان . فهذه مثلاً جامعة برنستن الاميركية وكثيراً ما تدعى اوكسفورد الولايات المتحدة . اسست هذه الجامعة عام ١٧٤٦ كلية طائفية لخدمة الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة ولم تكن متحدة بعد . وكان في دستورها مادة تنص على ان يتولى رئاستها قسّ من قساوسة الكنيسة المشيخية . وعند نشوب الثورة الاميركية ضد الاستعمار الانكليزي (وما اشبه الامس باليوم) اصبحت الكلية مركزاً لاحدى القيادات الاميركية . وفي قاعة عمدتها اجتمع واشنطن بمجلس الولايات المتحدة الاول . ولم تقف صبغتها الطائفية دون قيامها بقسطها في الجهاد القومي في سبيل الاستقلال . واخذت تلك الجامعة تنمو وتجذب اليها الطلبة من الطوائف الاخرى الى ان فتحت ابواب عمدتها للاساتذة على اختلاف مللهم . وبالتدريج فقدت صبغتها الطائفية بازدهار صبغتها العلمية . وفي عام ١٩٠١ تولى رئاستها الطيب الذكر ودرو ولسن المشهور فكان اول رجل علماني جلس في كرسي الرئاسة . ومنذ ذلك الوقت ورئاسة الجامعة علمانية وعمدتها لا تفرق بين الاستاذ والاستاذ الا على اساس الكفاءة . أفلا يحق لنا اذاً ان نرى بعين الرجاء هذه المدارس الطائفية ، بعد ان تقوم بخدمة الطوائف التي اسست من اجلها ، تقوم بخدمة الوطن اجمع على اساس اللاطائفية

واخيراً تقوم بخدمة العالم العربي والعالم كله بما تهيئه للجميع من مناهل العلم والمعرفة . ومهما تكن المرحلة طويلة وعسرة فالعمل المنظم والجهاد المستمر كفيلان لبلوغ هذا الهدف المحمود.

ولا تحل مشاكلنا الثقافية بترويج المؤلفات الكلاسيكية الكبرى في اللغة العربية كما يردد البعض . واول ما نريد ان نعرفه هو تحديد لهذه المؤلفات . أهي نتـــاج الفكر اليوناني . ان كانت كذلك فأكثرها دخل صلب الفكر العربي في اوائل العهـد العباسي وآخر قد ترجم حديثاً . ففي اللغة العربية من كتب ارسطو المهمة مثلاً تسعة عشر ومن كتب افلاطون الرئيسية ثمانية . وقد نقلت الالياذة الى العربية في بدء الخلافة العباسية عـلى يد منجم المهدي الماروني تاوفيل بن توما الرهائي (توفي ٧٨٥) ثم نقلها حديثاً الطيب الذكر سليمان البستاني اللبنـاني . واذا كانت نتاج المدرسيين اللاتين في القرون الوسطى فالمسألة تحتـــاج الى دراسة اعمق .

وكـثير من اصحابنا الداعين الى التراث الكلاسيكي تعرضوا لنتاجه الفكري حديثا و « عن كبر » فدهشوا به ولما يستعيدوا رشدهم بعد . مثلهم في ذلك مثل رجل يسير في الليل في هضـاب الكورة بالقرب من بشمزين . كانت الليلة حالكة الظلام والنجوم تتلألأ في كبد السماء . فراق

المنظر للرجل وانطلق لسانه بالتسبيح لله على حسن صناعته . وبغتة ظهرت سيارة من منعطف الطريق بانوارها الشديدة فانبهرت عيناه وغابت عنها النجوم . فما كان منه الا ان انكر وجودها وتعبدَ لأنوار السيارة .

لا تحل الترجمة ولن تحلّ المشكلة الثقافية في اي بلد كان . لأن تيسر الكتب لدى الناس لا يضمن لها المطالعة والمطالعة بحد ذاتها لا تضمن لها الاثر . فهذه التوراة والانجيل وهما ما نسميهما نحن النصارى الكتاب المقدس . ترجم الكتاب المقدس الى جميع لغات العالم المدونة . ومع ذلك لا نجد له اثراً ملموسا فعالا في اخلاق البشر حتى النصارى منهم احيانا . اما اليهود فقد صدفوا عن المقدس الى المسدس وعن النبوة الى القوة .

بقي ان نعين الغاية التي من اجلها نشهر سيف العمل المنظم والجهاد المستمر .

لقد شهر العاص بن منبه بن الحجاج « ذا الفقار » في بدر ضد الحق . ثم انتزعه علي بن ابي طالب منه ووقفه على نصرة الحق . لقد انتزعتم انتم واخوانكم واخواتكم في لبنان وسائر الاقطار العربية الاستقلال من يد المستعمر . فماذا انتم به فاعلون . اهدى الى مناة ام يُشهرُ ضد الحق ام يوقف على نصرته . أتحسب الاستقلال غاية في نفسه ام

مطية للاقطاع والاستبداد ام وسيلة الى غيره من الاهداف كالمساهمة في التاريخ مساهمة حرة وخلق جزء من حضارة العالم . أتستعبد البلدان العربية باسم الاستقلال كما استعبدت باسم التمدن على عهد الانتداب وباسم الدين على عهد العثمانيين .

السر في الساعد لا في السيف ، وفي الغاية التي يشهر في سبيلها .

لقد ورث العرب من الحكومات المنتدبة في مختلف اقطارهم سيفاً هو الجهاز الحكومي وكان قد خلقه المنتدب واستعمله للعسف والاستبداد . فلأية غاية ستستعمل الحكومات الوطنية هذا السيف . أنا لا انكر ان هذا الجهاز الحكومي ناقص في اساسه ، فاسد في كثير من نواحيه . الا انه على علاته يصح ان يكون في يد الحكومات الوطنية وسيلة للترفيه عن الشعب والذود عن مصالحه والسهر على سلامته وحريته . فالسلطات الواسعة التي تمتعت بها بعض فروع الحكومة في عهد الانتداب مثلاً واستخدمتها لتنفيذ بعض الاهداف الاستعمارية يصح ان تصبح في يد الحكومات الوطنية اداة لتنفيذ بعض الاهداف العمرانية . ولو اخذنا دائرة الدعاية والنشر في اي قطر عربي مثالاً وهي الدائرة التي تقوم اداة ارتباط بين الحكومة والصحافة نرى ان في وسع هذه الدائرة ان تزود الصحافة بشتى المعلومات عن

اعمال الحكومة ومشاريعها العمرانية وبرامجها الاصلاحية حتى يتسنى للناخب اللبناني او السوري او العراقي مثلاً ان يراقب حكومته ويحاسبها عن تأدية واجباتها نحو الشعب ، وفي وسعها ايضا ان تمنع عن الصحافة الاخبار فيبقى الشعب في الظلمة لا يرى ما يحاك حوله من خطط قد تتوقف حياته عليها ، وفي وسعها ايضا ان تشهر سيف التعطيل الاداري فتقضي على ركن من اعظم اركان الاستقلال ، مثلها في ذلك مثل رجل صلم انفه نكاية بوجهه . وما يصح على هذه يصح على غيرها من الدوائر . وعندي ان جهازاً حكومياً ناقصاً فاسداً في بعض نواحيه في ايدٍ نظيفة تستخدمه لرفاه الشعب وخيره لأفضل من جهاز كامل في ايدٍ ملوثة تستخدمه لاستغلال الشعب وظلمه . فالسر في الساعد لا في السيف وفي الغاية التي يشهر في سبيلها .

وما يصح على الجهاز الحكومي يصح على الدستور في كل بلد عربي. فالدستور مهما كان محكما في مواده لا يتعدى الحرف القاتل ، اما الروح المحيية فينفخها فيه القائمون على تطبيقه لرفاه الشعب وراحته وسعادته . والدستور الناقص في ايدي حكومة عادلة خير من دستور كامل في ايدي حكومة غير عادلة .

ويصح هذا المبدأ الى حد ابعد على موارد البلاد الطبيعية . وقد انعم الله على البلاد العربية بخيرات كثيرة .

فمواردنا الطبيعية لا تعد ولا تحصى . فماذا نحن بها عاملون . أتبقى في بطن الارض دفينة ام نتركها لاستغلال الاجنبي أم نستثمرها لمنفعة الشعب . واذا كانت خطة الغرب في استثمار آبار النفط هي النموذج لاستثمار موارد البلاد الاخرى فالافضل ان تبقى تيك الموارد دفينة . لان الخطة المتبعة في استثمارها ساذجة لا بل في منتهى السذاجة ، اذ تحسب تلك الخطة آبار النفط آبار ماء لمنفعة بطن او قبيلة لذلك لا نزال نرى الاسكافي حافياً والفران جائعاً والحمار عطشاناً . ولو وقفت البلية عند هذا الحد لهان الامر ، اذ أخشى أن تدمّر المدن العربية وتسفك دماء اهلها بقنابل طيارات معادية تحرق في محركاتهـــا بترولا عربيا ، وفي الوقت نفسه تبقى الطائرات العربية مسمرة في مطاراتها لعدم مقدرتنا على الانتفاع بما ملكت ايدينا . أيحرق العرب في فلسطين مثلا بالنفط العربي ويصلون بلهيبه . وقانا الله العزيز جهل عبيده وجشعهم .

وما يصح على الموارد الطبيعية يصح على الموارد المعنوية والروحية . فها كم مثلًا الجامعة العربية سيفاً في يد العرب لا يزال مغمداً وكان الاولى ان يسل لرفع البلايا المتراكمة ولدفع الاخطار المهددة ولشق طريق الاتحاد فالوحدة امام العرب . ولم يسل هذا السيف بعد الا لتعزيز الوضع الراهن

بين الدول العربية واقامة الحواجز المصطنعة بين الاقطار العربية . واصبح ميثاق الجامعة العربية في اتجاهه وثاقاً يكبل مساعي العرب نحو التعاون ويخنق امانيهم في سبيل الاتحاد ويزهق آمالهم في سبيل الوحدة مع ان الغاية الاساسية منه ان يكون العروة الوثقى التي تشد ازرهم وتجمع كلمتهم وتوحد صفوفهم . فالسر في الساعد لا في السيف وفي الغاية التي يشهر في سبيلها .

ومتى قوي الساعد ووضحت الغاية استطاع الرجل ان يسخر كل شيء حتى المحن والمآسي للخير فلا ينوء تحت عبئها ولا يستسلم لليأس متى حلت . وللمحن والمآسي اثر بعيد في توحيد الصفوف وجمع الكلمة واستفزاز الهمم وبعث الوعي القومي . وهي اعظم موحد واقوى جامع وخير مصف للقلوب من الدغل والفساد . وكثيراً ما ترمى الشعوب بمنحة في طي المحنة . وهذا ما رمي به العرب في طي المحنة الفلسطينية . وفلسطين اليوم هي المحنة الكبرى وفي الوقت نفسه هي المنحة الكبرى التي تتحدى الروح العربية وتستفزها الى العمل الايجابي المنظم . وقد كان جهاد العرب حتى اليوم في سبيل استقلال اقطارهم على الاجمال سهلا وفي اكثر الاحيان مرتجلا . ولذلك لم تصهر نفوسهم بعد في بوتقة الاخلاص والتضحية . وهم لا يزالون

في حاجة الى محنة تضمهم في ساحة الجهاد والعمل وتوحدهم في تضحية مشتركة . وفلسطين اليوم تمثل تلك المحنة التي في طيها منحة اذ تضع في متناول العرب فرصة لا تأتي في حياة الامة الا مرة في قرون . فاذا هب العرب الى اغتنامها ضمنوا لأنفسهم الحياة وبلغوا الوحدة المبتغاة ونالوا بركة الاجيال المقبلة . وان توانوا ، لا سمح الله ، عن الوثوب اليها خسروا الكرامة والحياة ولعنتهم الاجيال المقبلة . وكما كانت ميسلون محكاً لروح سورية ، وراشيا محكاً لروح لبنان ، لتكن فلسطين محكاً لروح العرب في جميع اقطارهم . واني ارى في فلسطين فرصة وفي الفرصة فوز وحياة .

لقد أجبرتنا الحوادث المؤلمة الاخيرة على التفكير . كيف يستطيع العرب ان يجتازوا هذه العقبة والى أين بعد اجتيازها . ونحن نرى الكثيرين يطالبون الحكومات بهذا وذاك وينتظرون الخلاص على ايديها .

وقد اجتمعت الحكومات كما تعلمون في القاهرة وستتخذ ، بالاجماع طبعا قرارات مختلفة . ومن هذه القرارات ما هو علني ومنها ما هو سري . وستذاع بيانات بذلك كله . اما القرارات العلنية فستشجب التقسيم وتشير بلباقة الى القرارات السرية . اما القرارات السرية فلن تنفذ خوفا من فقدان صفتها السرية . « ومن المحتمل ان تترك قضية البترول

دون جواب في الوقت الحاضر بالنظر الى الصعوبات التي تعانيها المملكة السعودية العربيـة » . هذه الجملة الاخيرة مقتبسة من جرائد الصباح المحلية وهي بيت القصيد .

وهوذا سر آخر اقوله ايضاً : لم تقدم الدول المختلفة على قرار التقسيم الا لاطلاعها على السر الظاهر وهو انشغال العرب بالقطع النادر وامتيازات البترول وسورية الكبرى والتنافسات العائلية الى ما هنالك مما يمتص القوى العربية وينخر عظامها . ولو اقتنعت الدول الكبرى ان العرب جادّون فيما يقولون لما بيعت فلسطين بثلاثين من الفضة في سوق النخاسة الدولي على جانب بحيرة النجاح . واذا لم يفق العرب من سكرة الكلام الى صحوة الافعال فسيأتي بعد فلسطين دور شرق الاردن ثم لبنان ثم سورية فلا تنقضي خمس عشرة سنة الا والهلال العربي مستعمرة صهيونية ، مُرتبطة اقتصادياتها بجبائل المال الصهيوني ومقيدة بسلاسل الصناعة الصهيونية . ألم تؤسس الدولة اللاتينية في القرن الحادي عشر على تفرق كلمة العرب وانشغال الحكومات العربية بسياسات عليا اخرى . ولم يلفظ الفرنج من البلاد الا عندما اجتمعت كلمة المدافعين .

ورب قائل يقول : كيف يستطيع العرب ان يقفوا في وجه العالم وقد اجمعت دوله الكبرى والصغرى على

التقسيم . وأنا اقول كيف يستطيع العرب بعد اليوم ان يقفوا امام العالم برأس مرتفع اذا لم يقفوا في وجهه حتى ولو أجمعت دوله على الطغيان .

وقد ينبري البعض ممن يسمون انفسهم « عمليين » ويقولون ما لنا وللكلام فالسياسة العملية تقتضي مرونة وكياسة حتى نحتفظ بالباقي مما كسبناه في خلال ثلاثين عاماً . ان مصيبة العالم عامة والعالم العربي خاصة هي في مثل هؤلاء العمليين الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ويقضون ايامهم في تكييف مبادئهم حتى تستوي مع الواقع . وخلاص العالم عامة والعالم العربي خاصة لا يأتي الا على ايدي اولئك الذين يسخر بهم السياسة العمليون ويسمونهم ذوي الاحلام الذين يقضون العمر وهم يحاولون تكييف الواقع حتى يستوي مع المبادىء التي يدينون بها . هل كان الناصري عملياً عندما وقف امام بيلاطس . هل كان محمد عملياً عندما وقف في وجه قريش . هل كان عبد الرحمن الداخل عملياً عندما هام على وجهه من شاطيء الفرات الى شواطيء بحر الظلمات . وفي يومنا هذا هل كان تشرشل عملياً عندما زمجر في وجه العدو زمجرة الاسد الجريح ودعا الشعب الانكليزي الى الدم وعرق الجبين والدموع .

لا يحتاج العرب الى رجال عمليين بل يحتاج الى رجال

عمل يقدمون على تأدية الواجب دون أن يلتفتوا الى ما سيؤدونه ثمناً للحياة ، ولا الى التضحيات التي ستطلب منهم في سبيل الحرية .

وليست القضية الفلسطينية هي الاولى ولا الاخيرة من القضايا التي تجابه العرب وتتحداهم . غير أنها القضية الملحّة ، وعليها يتوقف مصير العرب جميعهم .

ومن العبث ان نحاول محاربة الغرب بسلاحه المادي او بسلاحه الروحي أو بالاثنين معاً . اذ لا يستطيع العالم العربي أن يقطع في عقد او عقدين من السنين تلك المرحلة الصناعية التي تفصل بينه وبين الغرب . ولو استطاع العرب ان يحذوا حذْو اليابان مثلاً ويتقنوا سرّ الصناعة الغربية كما أتقنتها بلاد الشمس فهل يقدرون ان يجاروا في ذلك المضمار الطاقة الاميركية او الروسية او الاثنتين معاً ؟ فالموارد الطبيعية المتوفرة لدى كل من هاتين الدولتين على حدة تفوق الموارد الطبيعية المتوفرة لدى العرب في جميع اقطارهم . زد على ذلك ان في العالم اليوم خمسين مليوناً من العرب على اعظم تعديل مقابل مائة وتسعين مليوناً من الروس ومائة واربعين مليوناً من الاميركيين . ولا حاجة للتذكير ان المحاولة انتهت بهيروشيما .

ورب قائل ان اليابان غلبت على نفسها لان الروح التي

تميز بها الغرب كانت على الاجمال مفقودة لدى اليابانيين . فماذا نقول عن المانيا حيث اقترنت القوى الروحية الغربية بالقوى المادية وامتزجت ؟ أنقدر بعد اليوم ان نفرق بين الروح الغربية التي سيرت النازية الالمانية وبين الروح الغربية التي تسير الدول المتحدة ؟ فقد تجلت الروح الغربية بحقيقتها العارية في هيئات الدول المتحدة المختلفة ويصعب بعد اليوم ان ينادى بتفوقها او ان يحبذ اقتباسها واستخدامها في مجابهة الغرب ، لان تلك الروح تتقلص في النهاية الى الروح القائلة : إن القوة حق .

فلنرجع الى الشرق ، شرقنا ، مصدر النور ، ولنفتش عن الروح كما كانت قبل ان تعبث بها يد الغرب وتمسخها . ولنفتش عنها في ارز لبنان لا في معادن حرمون ، وفي جبل الزيتون لا في البحر الميت ، وفي بئر زمزم لا في آبار النفط ، واخشى ان يغفل العرب وينهمكوا بالصعوبات التي يعانونها فتطفو آبار النفط على مياه زمزم فيفسد ينبوع من اغنى ينابيع الشرق الروحية .

والسر في الساعد لا في السيف ، وفي الغاية التي يشهر في سبيلها .

المشكلة الكبرى *

ان مشكلة المشاكل التي تجابه البشرية ، والعلة الاولى لجميع متاعبها وآلامها هي تهافت القيم الاخلاقية عند الفرد والجماعة وما نتج من ذلك من طغيان الباطل على الحق والظلم على العدالة ، والاستبداد على الحرية ، والخيانة على الامانة لا بل فقدان معظم هذه الالفاظ معانيها . فدخل الشك الى قلوب الناس وفقدوا ثقتهم بالفضيلة . ولولا ما حل بهذه الالفاظ ومعانيها من تبديل والتباس لما انساق الرأي العام العالمي الى مؤازرة العدوان الصهيوني في الاراضي المقدسة ، ولما مرّ بفظائع دير ياسين مر الكرام وسكت عنها ولم يرفع صوته مستنكراً شاجباً . ولولا ذلك لما اجتمعت كلمة الشيوعية والديموقراطية على مناصرة الباطل وفرض الهدنة الكاذبة على العرب . ولولا ذلك التبديل والالتباس لما رضي العرب انفسهم بها ولفضلوا الاستشهاد في سبيل الحق على العيش في الباطل . وسيذكر التاريخ ان مصير

* حلب ، حزيران ١٩٤٨

العرب ومصير القيم الاخلاقية التي هبوا في ساعة من أروع ساعات العمر للذود عنها قد ختما الى قرن كامل على الاقل عندما انطلقت آخر رصاصة من بنادقهم في الساعة الثامنة من صباح اليوم الحادي عشر من شهر حزيران من سنة ١٩٤٨ . ولست انكر ان العرب اظهروا في هذه المحاولة الرائعة ان الارادة موجودة لديهم كما اظهروا في الوقت نفسه ان الرأي مفقود . والرأي كما تعلمون قبل شجاعة الشجعان ، هو اول وهي المحل الثاني .

ان تهافت القيم الاخلاقية عند الفرد والجماعة هو العلة الاولى لهذه الفوضى وهذا الفشل . وهنالك اسباب اخرى ثانوية جعلت المحاولة العربية من بدئها فاشلة . غير انها جميعها تعود بالنهاية الى ذلك التهافت .

ولتهافت القيم الاخلاقية عند الفرد والجماعة انصرف العرب عن الجوهر الى العرض وعن الروح الى المادة ، فنزلوا الى البحر الميت بدلا من الصعود الى جبل الزيتون وولّوا وجوههم شطر آبار النفط وغاب بئر زمزم خلف ظهر الامام ، وانحدروا من هيكل الارز الى سوق القطع النادر .

وللسبب نفسه نراهم جادين في التقليد في اكثر نواحي الحياة . وقد اتخذوا المقاييس الغربية دون نقد او تمييز .

لذلك جاءت محاولاتهم للذود عن الحرية والعدالة مشوبة بشيء من الرياء وكثير من الضعف فعجزوا عن استفزاز الرأي العام العالمي الى الاخطار التي تحيط به . زد على ذلك ان العالم اليوم يترنح بسكرة من الجشع والطمع والحقد والبغضاء لا يستطيع معها ان يصغي الى صوت ضمير او تبكيت وجدان .

فواجب العرب اليوم لخلاص البشرية وخلاصهم انفسهم ان يعيدوا الى الروح قوتها التي اوشكت ان تختفي تحت انقاض الذرة المتفجرة فتبعث في الانسانية الرجاء والامل ، وتبدد غيوم الشك والخوف والبغض ، وتستعيد القيم الاخلاقية سلطانها المفقود عند الفرد والجماعة ، وتسترجع الالفاظ معانيها ، وتسترد الفضيلة قوتها ، وتعود البشرية التائهة الى حظيرة الانسانية ورباط السلام .

هذا هو واجب العرب في هذه الازمة الاخلاقية فمن من نرتجي القيام به ؟ أننتظر ذلك من الجيل القديم — جيل تسلم زمام الامور فأخفق في كل عمل الا جمع الثروة والمال ، الى ان صارت « قصوره قيصرية وبيوته كسروية وابوابه طاهرية واخفافه جالوتية وأوانيه فرعونية ومآثمه جاهلية ومذاهبه شيطانية ... »

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

ان العروبة تنظر اليكم انتم وتنتظر الخلاص على ايديكم . ولا بد من القول ان الجيل القديم نفسه يعترف لكم ضمناً بهذه التبعة ويعلق آمال البلاد عليكم . ولهذا السبب ارسلكم الى هذا المنهل العلمي والاخلاقي .

لقد جاء البعض منكم الى المدرسة من تلقاء نفسه طوعاً واختياراً ، وجاء البعض عملاً بمشيئة والديهم وجاء البعض الآخر تبعاً للعرف الشائع والعادة المألوفة . فما هي الغاية التي من اجلها جئتم او ارسلتم وما هو الهدف الذي تسعون اليه الآن بعد ان صرفتم في المدرسة سنوات ثمينة ؟ هل جئتم لشحن اذهانكم بالمعلومات المختلفة ام لاتقان اللغات المتعددة ام لتهيئة انفسكم لوظيفة ام لاعداد انفسكم للكسب والتجارة ؟

اذا كانت هذه غايتكم من المجيء الى المدرسة مع ما تعلمونه من حاجة البلاد في اثناء هذه الازمة فقد اسأتم النية مع أن النية الصادقة شرط من شروط اي عمل . وقد جاء في الحديث ان « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء او يميل به وجوه الناس او يأخذ به من الامراء تبوأ مقعده من النار » . وقال حجة الاسلام الغزالي : « على طالب العلم ان يقصد من العلم تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء

ومباراة الاقران » .

انا لا انكر حاجة البلاد العربية مثلا الى سلك مدني مدرب يقوم بمهام الادارة والحكم ويعطي جهاز الدولة نعمة الاستمرار والتقدم . لان الحكومات المنتدبة التي جاءت في اثر العثمانيين اعتنت بايجاد سلك من الكتبة والمترجمين لا غير . ولما اشرق العهد الجديد – عهد الاستقلال – قام على شؤون الدولة واحد من اثنين : اما وطني غيور او انتهازي مغامر . الاول عقيم في فن الحكم الايجابي ، والثاني فاسد لا رجاء في اصلاحه . الأول مدان بضعفه واهماله ، والثاني مدان بمكره وأعماله .

كذلك اعلم ان البلاد العربية لا تزال تفتقر الى الخبراء الفنيين وأهل الاختصاص في اكثر نواحي الحياة العملية . على الرغم من هذا كله اقول ان ما تطلبه البلاد العربية من المدارس لا ينحصر في سد حاجـــات البلاد الى سلك مدني مدرب وخبراء فنيين واهل اختصاص بل يتعداها الى ما احسبه الغاية الاولى والاخيرة من المدارس – الى تنمية الوعي الاخلاقي في الفرد وتدريبه على العمل والتعاون في سبيل المصلحة العامة . فآفة المجتمع العربي اليوم هي اللامبالاة وعدم اكتراث المواطن العربي بواجباته الاجتماعية والقومية . ولولا ذلك لما لاذ اكثر افراد الطبقـــة المتعلمة وعصابات

الاغنياء في فلسطين الى سورية ولبنان ومصر على الرغم من ان واجبهم الوطني يدعوهم الى البقاء في البلاد للدفاع عنها . وكان في وسع القسم الاوفر من هؤلاء ان يلجأوا الى المراكز العربية لا الى البلدان المجاورة . ولولا ذلك لانعدمت السلبية من تفكير الشعب واضطلعت جميع طبقاته بالتبعات الاجتماعية وساهمت مساهمة فعالة في الاصلاحات الداخلية التي تنتظرها البلاد بدلاً من تركها الى الحكومات . ومهما اشتدت الحاجة الى الاصلاح فالشعب لا يحرك ساكناً إلا لسانه . وغايته من ذلك عادة وظيفة يتخذها وسيلة الى مال او جاه . ولا تزال عقلية البداوة تطغى عليه في حركاته وسكناته ، لذلك فشلت محاولاته في تكييف الاساليب الديموقراطية لتتلاءم مع مقتضيات بيئته ومطاليب زمانه .

ولعل اعظم ما يتطلب من المدارس بعد تنمية الوعي الاخلاقي في الفرد وتدريبه على العمل والتعاون في سبيل المصلحة العامة النظام والطاعة . فالطاعة تاج الفضائل النفسية قاطبة . وقد يستهجن البعض منكم هذا القول وينفر منه لا سيما الاحداث الذين ما فتئوا يشعرون انهم لن يبلغوا غايتهم الا عندما ينعتقون من سلطان الوالدين وقوانين المدرسة ومراقبة المعلمين ويتمتعون بالاستقلال التام . وحقيقة

الامر ان المرء لا يصل الى جوهر الاستقلال الا عندما يُضيع نفسه في فكرة اعظم منه ، يجد في خدمتها الحرية التامة . وما الاستقلال الحقيقي للفرد والجماعة الا طاعة واعية وخدمة راضية في سبيل قضية قوامها الحق وغايتها الصلاح .

واليوم في وسط هذه الازمة الاخلاقية وما يتفرع عنها من ازمات اجتماعية وسياسية وقومية ، أدعو الجيل الجديد المثقف ، الذي يودع في هذا اليوم المدارس ويقف على عتبة حياة أفضل ، الى الجهاد في سبيل قضية يجد في خدمتها الحرية التامة . اما القضية فهي تعزيز القيم الاخلاقية وبعث القوى الروحية في ظل العروبة .

وما لم يتغلب الجيل الجديد على جميع الشرور والآفات التي تنخر عظام العروبة وتكاد تقضي عليها ثم يعيد بناء صرحها على اساسه الاصيل فلن يضمن لنفسه ولأبنائه وابناء ابنائه مستقبلاً حسناً حتى ولو تغلب على ثعبان الصهيونية وسحق رأسه .

قد تكون هذه السنة سنة المصاعب والاحزان والمحن ، غير انها ايضاً سنة التحدي والفرص والآمال . وانكم حقاً لتغبطون عليها وعلى انكم ستدخلون معترك الحياة العملية فيها . وما هذه المصاعب والمحن والفوضى الا تحد للروح

العربية واستفزاز لها . فهبوا اذاً في وجهها وردوها ، واظهروا ان في جوهر الروح العربية من القوة الكامنة ما في الذرة واكثر . ولم يخلق الله شيئاً اعظم من الذرة الا الروح .

مشكلة اللاجئين *

انتهت القضية الفلسطينية لاسباب يصعب تعيينها الى قضية اللاجئين العرب وقضية مصيرهم . ولن اتصدى لما قامت ولا تزال تقوم به منظمات الاسعاف المختلفة ، الخاصة منها والعامة ، في سبيل تخفيف آلامهم وانعاش آمالهم لان كل ما يعمل من هذا القبيل لا يمس المشكلة الاساسية التي تقض مضاجع العرب وتزعجهم ، بل تقتصر على معالجة الحاضر بالحاضر ولا تتعداه .

ومن البديهي ان الحل الوحيد الوافي لهذه المشكلة الخطيرة هو عودة اللاجئين الى بيوتهم خلف جيوش فاتحة . وليس لعربي ان ينسى هذه الحقيقة مهما تراكمت عليه المحن . وليس لعربي ان يهمل العمل الجدي في سبيل هذه الغاية . فلا بد للعربي ان يعود الى حقله المغتصب والى بيته المنهوب

---

* كتب هذا المقال قبل ستة اشهر من مجيء لجنة «كلاب» الاقتصادية وقبل تسعة اشهر من نشرها تقريرها التمهيدي.

حتى ولو اضطر ان ينتظر جيلاً او جيلين او ثلاثة قبل ان يتم له ذلك .

في الوقت نفسه لا نستطيع ان نهمل امر هؤلاء اللاجئين . فهم في حاجة الى الطعام واللباس والمأوى . وهذه لا تتحمل التأجيل ، بل هي ملحة تتطلب الانتباه والمعالجة حالاً . ومن مهازل التاريخ ان يشرف اليوم على شؤون الاغاثة اولئك الذين كانوا السبب الاول في خلق القضية الفلسطينية وما تأتى عنها من مشاكل . على كل حال يجب ان نسد حاجات اللاجئين الجسدية قبل كل شيء . وبعد ان نضمن لهم وسائل العيش والصحة يجب ان نلتفت الى شؤونهم الروحية ، وهي لا تقل عن الشؤون الجسدية اهمية والحاحاً . فقد يتعرض اللاجيء الى اخطار عديدة اهمها البطالة ، والبطالة تجر وراءها اخطاراً اخرى لا تقل عنها شراً ، مثل تعوّد اللاجيء الاتكالية والكسل وعدم الانتاج فيصبح عالة على المجتمع الذي يحل فيه .

فمكافحة البطالة بين اللاجئين هي اذن اهم الاعمال التي يجب ان نقوم بها حالاً . لذلك يقتضي على جميع المراكز التي يحتشد فيها اللاجئون ان تباشر حالاً بفتح المدارس للاحداث الذين انقطعوا عن دراستهم واصبحوا دون عمل يستغرق اوقاتهم ودون العاب منظمة توجه قواهم . وعندي

ان معظم هذه المدارس بل كلها يجب ان تكون صناعية لان هؤلاء الاحداث قد اقتلعوا من اوساطهم ، وعلى الاجمال ، قد ابتعدوا بحكم الظروف عن النظام والترتيب ، وفقدوا عادة الانكباب على الدراسات النظرية ، وقد لا يستطيعون بعد اليوم ان يخضعوا اختياراً لنظام المدارس الاعتيادية . زد على ذلك ان المدارس التي وجدت في زمن الانتداب كانت تتوخى تجهيز الطلبة لخدمة دوائر الحكومة ككتبة ومترجمين وقلما هيأتهم لحياة العمل النافع المجدي . وهم الآن يجابهون مستقبلاً – اقل ما يكون – مجهولاً ومحفوفاً بالمصاعب . فافضل ما نستطيع ان نجهزهم به هو مهنة يطلبون بها الرزق حلالاً ويصبحون بها منتجين في بلد لا يزال في حاجة الى جميع انواع الصناعات والمهن .

وكما يجب ان نعتني بالاحداث فنكافح البطالة بينهم ونهيئهم لمستقبلهم المجهول يجب ان نعالج المشكلة نفسها ، الشبان والشابات والرجال والنساء . فهؤلاء ايضاً مهددون بجميع آفات البطالة الاخلاقية والاجتماعية ، ولا يبعد ان تدفعهم هذه البطالة الى الجرائم فيصبحون عالة على البلاد وخطراً على المجتمع . فلا يكفي ان نسد حاجاتهم الجسدية فقط ، بل يجب علينا ان نعيد بناء نفوسهم المتهدمة لكي يستعيدوا الثقة بالنفس ولكي ينعموا ثانيـــة بجميع الفضائل

الاجتماعية التي طمستها حياة المخيمات والثكنات . ويجب ان نعوّدهم تسلم تبعة العناية بانفسهم بالتدريج بتشجيعهم على التعاون سواء في الحقل الاجتماعي او في الحقل الاقتصادي . لذلك ارتئي ان تؤسس بينهم « تعاونيات » تتناول جميع مرافق حياتهم . فبدلاً من ان توزع عليهم الثياب البالية والاحذية العتيقة وغير ذلك مما يحتاجون اليه دوما ، يجب ان يقدم لهم القماش والجلد والنعل وغيرها ، فيقوم الخياطون بينهم باعمال الخياطة ، وصناع الاحذية بصنعها ، والنساء بالغزل والحياكة وصنع القمصان وما شاكلها ، كل ذلك لقاء اجر عادل يمكنهم من ابتياع ما يحتاجون اليه من صنع ايديهم وبيع ما يزيد في الاسواق . وقد يخشى احيانا ان تكون مثل هذه المشاريع خطراً على صناعة البلاد ومنافسة الايدي العاملة فيها ، اما الحقيقة فهي ان هذه المشاريع التعاونية تعزز صناعة البلاد واقتصادياتها ، وتدفع عنها خطراً عظيما هو خطر البطالة المتفشية التي تؤول دوماً الى التذمر فالثورة او الى اعتناق المذاهب الهدامة .

ورب قائل ان لا حاجة الى هذه الامور او الى مثلها لان اللاجئين سيعودون قريباً من حيث اتوا وبذلك تنتهي المشكلة . فاسمحوا لي ان ابدي رأياً شخصياً في الامر . فمما لا جدال فيه ان للاجئين الحق في عودتهم الى بلادهم

وبيوتهم ، ويجب ان يصان هذا الحق ويضمن . غير ان الاختبار علمنا ان من يعود من مثل هؤلاء اللاجئين الى بلده ، حتى في ظروف اقل تعقيداً من الظروف التي تكتنف المشكلة الفلسطينية لا يتعدى الخمس منهم . اما الباقون فسيتشتتون في البلاد التي نزحوا اليها . ولذلك يجب على هذه البلدان ان تعالج القضية على ضوء هذه الحقائق معالجة عملية واقعية لئلا تجابه بحل قد لا يتفق مع المصلحة العامة . وهنالك مشاريع تدرسها الدول التي خلقت المشكلة الاساسية والتي تسعى الآن الى تصفيتها باسرع ما يمكن حتى يعود الاستقرار الى هذه المنطقة الجغرافية ، لا لخير السكان بل لسلامة تلك الدول . ومن هذه المشاريع ما يستهدف اقصاء اللاجئين عن البلاد واسكانهم في مناطق نائية لقاء بعض المشاريع العمرانية في المناطق التي سيوزع عليها اللاجئون ، فيتم لتلك الدول ما تريده من امرين :

اولاً ابعاد اللاجئين عن بلادهم الى الابد وبالتالي تمكين اليهود من خيرة البقاع الفلسطينية ، وثانيا : دفع البلاد العربية قاطبة الى المشاريع الزراعية فحسب وبالتالي تعزيز الدولة الصهيونية التي ستنصرف الى الصناعة فيصبح العرب بطبيعة الحال تحت رحمة الصناعة الصهيونية .

افلا يجدر بنا ان نتصدى حالاً الى درس هذه القضية

التي جررناها على انفسنا بالدرجة الاولى بسبب الارتجال الذي التزمناه في جميع حركاتنا وسكناتنا . وعندي ان الحل الاوحد لهذه المشكلة كلها هو ما ذكرته في مستهل كلامي اي عودة اللاجئين الى بلادهم وبيوتهم خلف جيوش فاتحة . ولن يكون لنا هذا حتى بعد قرن اذا لم نتصد الى معالجة الحاضر معالجة علمية عملية جريئة لا تتقيد بعاطفة سوى الخير الاعم للاجئين انفسهم وللعرب في جميع انحاء بلادهم .

عاد العرب الى الجاهلية

يحتفل العالم العربي اليوم بذكرى مولد النبي العربي . فتلقى الخطب وترتجل القصائد وتقام الولائم ، وينقضي اليوم فينسى العرب العيد ومعنى العيد ، فيعودون الى مجابهة حاضرهم المؤلم ومستقبلهم المجهول من دون ان يستوحوا من روح صاحب العيد مثالاً يُقتدى او عبرة تذكر .

وكأني بالنبي الكريم وهو يراقب امته التي ارسل اليها واخرجها من الماضي واقتادها الى شمس التاريخ والمجد يقول : « اعوذ بالله واستغفر الله » ويتساءل أهذه هي النهاية التي من اجلها ارسلت وفي سبيلها عملت وجاهدت ؟ لقد كانت امتي تتسكع في ظلام الجهل والشر والفساد والطمع والتناحر ، فرفعت فوقهم علماً ينضوون تحته ، ووضعت امامهم هدفاً يسعون اليه ودربتهم على التعاون والتفاني في سبيله ، ووحدت صفوفهم فخرجوا من صحراء اليأس الى شواطيء الرجاء والامل ، وخاضوا (باسم الله) لجج الجهاد والعمل فذابت قبائلهم في دين الله ودخلت الشعوب

والامم حظيرة الاسلام من بحر الظلمات غرباً الى حدود الصين ومن بحر الخزر شمالاً الى منابع النيل ، واندفع المسلمون منهم وغير المسلمين تحت رايته في جادة التاريخ وساهموا في خلق حضارة لا يزال العالم ينعم ببركاتها .

اما اليوم فقد عاد العرب الى سابق عهدهم فرجعوا الى الجاهلية التي اخرجهم الرسول من غياهبها ، واستسلموا الى التناحر والغدر وعبادة الاصنام ، في شخصيات جوفاء ، وعائلات عريقة في الظلم والعدوان ، وبيوتات مشغولة عن مصلحة الشعب بالمحافظة على عروشها ، وتثبيت تيجانها المتقلقلة على رؤوسها . وقد دب الخلاف بينهم فاختصموا كما كانوا يختصمون في جاهليتهم ، وسرى في عروقهم الحسد وسوء النية والانانية فعجزوا عن التعاون في شيء حتى في رفع البلية عن ديارهم ودفع الاذى عن اخوانهم . وها هم يتلمسون طريقهم متفرقين ، كل يعمل على حدة وكل يسير الى الهلاك على حدة .

ولعل شر ما حل بالعرب اليوم واشده خطراً على كيانهم وحياتهم ومستقبلهم انهم فقدوا اعظم ما وهبه اياهم النبي الكريم برسالته ومثاله . فقد فقد العرب اليوم نظرتهم التقدمية التي بعثها فيهم الرسول .

واذا قارنا حالة العرب النفسانية اليوم بحالتهم النفسانية ايام

الرسول وجدناها في أيامه افضل . فقد كانت نفوسهم عندئذ وثابة تنظر الى الامام ، نظرة جريئة صريحة عـــاملة . اما اليوم فهي خانعة رجعية مجبولة بالجبن ، بعيدة عن الصراحة جامدة . وما لم يستعد العرب نظرتهم الامامية التي بعثها الرسول في نفوسهم فقل على دنيـا العرب السلام . اما الاسلام فسيجد من شعوب الارض شعباً آخر يرفع لواءه كما وجـد في الماضي الفرس والسلاجقـة والمغول والعثمانيين ، والباكستان في يومنا هـذا . فلا يحسبن احد ان مستقبل الاسلام مرهون بمستقبل العرب . اما مستقبل العرب فمرهون بالاسلام وباخلاصهم لمبـادئه الانسانية الفعالة الوثابة .

كيف يستطيع العرب ان يحتفلوا بمولد النبي دون ان يحفلوا بتعـــاليمه ؟ كيف يستطيعون ان يطهروا المسجد الاقصى من الرجس الذي يكتنفـــه وهم يتناحرون على شرف الزعامة والظهور ؟ كيف يستطيعون ان يحتفلوا بمولد العروبة التي ولدت بولادة النبي وهم انفسهم لا يحفلون بمصير خيرة اقطارها ؟ كيف يستطيع العرب ان يحتفلوا بمولد من آوى اصحاب الصفّة واطعمهم مـــانعاً عن نفسه اللقمة كي يقدمهـا لهم وهم لا يحفلون باخوانهم اللاجئين ، يستغلون جوعهم وعطشهم ويعرقلون المساعي المختلفة لاغاثتهم ؟ ولم يعالج شؤون اللاجئين احـــد الا توصل الى ان اقل

الناس اهتماماً بشؤون اللاجئين بعد الصهاينة هم العرب انفسهم .

لن يكون لمثل هذه الايام والمواسم والاعياد معنى ما لم نحاول ان ندرك مغزاها وما لم نعمل دوماً على تفهم روح اصحابها والاقتداء بهم وتحقيق آمالهم . وقد اراد النبي للعرب وحدة روحية تجمع شملهم وتصهر نفوسهم في بوتقة الاخلاص لتستحيل فوضى نفوسهم الى نظام ، وضعفهم الى قوة ، وتفرقهم الى تضامن واتحاد . ورأى انهم لن يتغلبوا على ما يعترضهم من صعاب ما لم يتغلبوا اولا على انفسهم . فاخضعهم لفكرة اعظم منهم افراداً واعظم منهم جماعات . ولن يتغلب العرب على ما يعترض سبيلهم اليوم من مصاعب ومحن ما لم يتغلبوا على انفسهم .

عندئذ وعندئذ فقط يستعيد هذا العيد المبارك مغزاه ، ويستعيد العرب مكانتهم في التاريخ وقوتهم على الخدمة في سبيل الانسانية . والله اسأل ان يتجدد ميلاد العروبة وشبابها كلما تجددت ذكرى هذا اليوم العظيم .

تعريب العرب ! *

يستأنف هذا النادي الثقافي العربي نشاطه وسط فترة من التاريخ يتخبط فيها العالم العربي في بحر من الفوضى ، هائج بامواج الشك والخوف والفشل .

وما يزال هذا النادي ينادي بالعروبة عقيدةً قومية وقوة حية فعالة في زمن اخذ الكثيرون ، حتى من ابناء العروبة نفسها ، يرمون العروبة بالافلاس ، ويرتابون في مقدرتها على البقاء في وجه تيارات العصر الجارفة . وكان من جراء هذا التمسك بالعروبة ، حتى في اعماق الفشل ، ان اخذ البعض يقولون ان النادي الثقافي العربي مثل غيره من النوادي الثقافية ، برج من عاج ، يلجأ اليه الموتورون والحصيان الفكريون فيتعللون بالخيال هرباً من الواقع .

الى هؤلاء والى غيرهم من حربائآت العقائد الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ، والذين يتعلقون باهداب العروبة في

---

* القيت في حفلة افتتاح النادي الثقافي العربي موسمه الجديد في ١ تشرين الثاني ١٩٤٩

يوم عزها ، ويتخلون عنها في يوم بؤسها ، ويغمدون خناجر اللؤم في ظهرها يوم عثرتها اقول : ليس النادي الثقافي برجاً من عاج ، ولا هو ديراً يلجأ اليه الشباب هرباً من آلام الحياة ومحنها ونكباتها ، وتهرباً من حنظل الخيبة والفشل . ان النادي الثقافي العربي معقل لفئة من الشباب ، تعرف ماضي العروبة المجيد حق معرفة ، وتؤمن بمستقبلها العتيد بالرغم من حاضرها المحزن والمخزي والمخيف . وهي تعمل في سبيل ذلك المستقبل عملاً منظماً بعيداً عن الارتجال والتدجيل .

هذه الفئة تعلم حق العلم ان العروبة لم تفلس وان افلس العرب اليوم . ولم يفلس العرب الا لانهم لم يستغلوا قوة العروبة الكامنة ولم يستخدموا طاقاتها المكنونة . لم يفلس العرب الا لانهم اكتفوا بالقشر دون اللب ، وبالعرض دون الجوهر . لم يفلس العرب الا لانهم قنعوا بالجهل وحاولوا ان يحاربوا العلم به . لم يفلس العرب الا لانهم آثروا الارتجال وحاولوا ان يفحموا الاستعداد والتنظيم بالارتجال .

وهذه الفئة تعلم كما يعلم اعداؤها ان العروبة لم تفشل مع ان العرب فشلوا . ولم يفشل العرب لقلة في عددهم ، او لزهادة في عدتهم ، او لضعف في امكانياتهم ، بل لفساد

اخلاقهم عندما ابتعدت هذه الاخلاق عن معنى العروبة وحقيقتها .

وما فشلُ العرب اليوم الا فشل اخلاقي ، لا يمحى عاره الا عندما تستعيد العروبة مكانتها في قلوب العرب ، فتسير حركاتهم وسكناتهم على مقتضى روحها ، وتسير بهم من دركات الفساد الى معارج الفلاح ، وتنتشلهم من اعماق الفشل الى مشارف الامل ، وتسمو بهم من فوضى اليأس الى طمأنينة القوة واليأس .

هذه الفئة تؤمن ان القوة بالاتحاد والمجد بالعلم ، وتؤمن ان العرب لن يستعيدوا عروبتهم الا بالاتحاد والعلم . واشد الناس حاجة الى العروبة والى روحها الحية الفعالة هم العرب انفسهم . وفي هذا النادي تعمل هذه الفئة على تعريب العرب ، وعلى اطلاق قوى العروبة الكامنة حتى يمحو العرب عنهم عار الفشل الذي جروه على انفسهم ، والخزي الذي جلبوه على رؤوسهم ، عندما تخلوا عن روح العروبة وحقيقتها !

ان هذا النادي الذي اتخذ العروبة له اسماً وشعاراً ، قد وطد العزم على ان يسير تحت لوائها دوماً ، يباهي في ايام السعد بها ، ويضيء بنبراسها طريق الغير . ولن يتبرأ منها في ايام المحن ، بل يجد في مآتيها عزاء ، وفي تراثها وحيا

والهاماً . ولن يتنكر لها مهما تراكمت عليه النكبات ، لان عروبته عقيدة منزهة عن الانتهازية تلازمه في سرائه وضرائه .

العروبة قِبلتنا ، والوحدة غايتنا ، امس واليوم وغداً الى انقضاء الدهر !

ولن يقف في سبيل هذه الوحدة المبتغاة تنافس عائلي او « ضمان اجماعي » ، او الانس والجن اذا اجتمعا .

الجامعة العربية في ميلادها الثالث*

بعد اسابيع معدودات أحتفل انا وشريكة حياتي بميلاد ابنتنا ليلى الرابع . ونأمل نظير كل والد ووالدة ان نحتفل بميلادها الخامس والعاشر والعشرين على الاقل قبل ان نفارقها ونلحق بالرفيق الاعلى . في الوقت نفسه نراقب بغبطة حركاتها وسكناتها ونموها وتقدمها . وما دمنا نتمتع بكامل عقلنا لا نحسب انها ولدت كاملة النمو ، واذا شعرنا يوماً ان نموها في تأخر سارعنا الى الطبيب . فالنمو شرط من شروط الحياة .

ما يصدق على الافراد يصدق على الشعوب والدول . فهي ايضاً تولد وتنمو ولا بد يوماً ان تموت بعد ان تستوفي سنيها وتبلغ الغاية التي شاءتها لها العناية .

ونحن اليوم نحتفل بميلاد الجامعة العربية الثالث ، ونأمل ان تنمو مع السنين الى ملء قامتها وقوتها ، الى ان تنتهي الى الغاية التي وجدت من اجلها — وحدة العرب في

* ٢١ آذار سنة ١٩٤٨

جميع اقطارهم .

ومن الغريب ان الكثيرين ممن يحتفلون اليوم بهذا الميلاد ، يتجاهلون ان الجامعة وليدة الامس ، وان ايام نموها لا تزال بعدُ امامها . هذه حقيقة يجب ان لا تغرب عن بالنا ونحن نحتفل بميلاد الجامعة العربية الثالث وننظر بثقة ورجاء الى المستقبل .

اما ولادة الجامعة فكانت محفوفة بالرجاء والامل كما كانت محفوفة بالتراجع والفشل . فميثاق الجامعة يمثل تراجعاً ملموساً عن بروتوكول الاسكندرية . فالبروتوكول استهدف الامة العربية قِبلة ، والميثاق تحول عنها الى الدول والحكومات . والبروتوكول اقر الجامعة العتيدة خطوة نحو اتحاد اشد واوثق ، فترك الباب مفتوحاً امام التطور والنمو ، اما الميثاق فاوصد ذلك الباب ، وحسبَ الجامعة كما ولدت غايةَ ما يجب ان يبلغه العرب في تطور علاقاتهم بعضهم ببعض . واصبح هذا الميثاق في اتجاهه وثاقاً يكبل مساعي العرب نحو التعاون ويخنق امانيهم في سبيل الاتحاد ، ويزهق امالهم في سبيل الوحدة ، مع ان الوحدة كانت ولا تزال هدفهم منذ بدء نهضتهم الحديثة . وفي الميثاق على ما يظهر فوز موقت للاقليمية — اقليمية غيور على الطابع الخاص الذي يطبع هذا القطر او ذاك ،

وتخشى لاسباب حقيقية واخرى وهمية ، ان تفقد طابعها . وقد تكون هذه الاقليمية خطوة ضرورية في تطور العلاقات العربية ، على انه من الخطأ ان نحسب الجامعة ، وهي وليدة الامس ، قد استكملت نموها بعد ، ولا حاجة بنا ان نحشر قدميها في قالبين حديديين ، شأن صبيي القرون الوسطى مع بناتهم .

وهنالك فريق يمثله الكاتب المصري الشهير احمد حسن الزيات يقول ان الجامعة العربية هي خطوة اولى في سبيل الجامعة الاسلامية . وكما لا يحسن ان نحشر قدمي هذه الغادة العربية الحسناء ، في قالبين حديديين ، قبل تمام نموها ، كذلك لا يحسن ان نشد رأسها بعمامة . اقول هذا مع علمي بان العرب لم يدخلوا التاريخ العالمي الا تحت راية الاسلام . غير ان الذين ساروا تحت تلك الراية ، ونصبوها في ثلاث من قارات العالم كانوا مسلمين وغير مسلمين .

ليست الجامعة العربية التي نحتفل اليوم بميلادها الثالث غاية ما يجب ان يبلغه العرب في تطور علاقاتهم بعضهم ببعض ، وليست هي الخطوة الاولى في سبيل الجامعة الاسلامية . بل هي الخطوة الاولى في سبيل ولايات متحدة عربية . وانا احبذ الجامعة ، لا لما هي ، بل لما ترمز اليه : ول عمل ايجابي منظم ، يقوم به العرب انفسهم ، في سبيل

وحدتهم . ومما يزيد في تفاؤلي ، ان يوافق ميلاد الجامعة الاعتدال الربيعي . فلا بد اذا لليلها ان ينقص ، ولنهارها ان يطول حتى يبلغ غايته ، فنرى في نوره ولايات متحدة عربية ، تضم خمسين مليوناً من العرب ، في سبع ولايات على الاقل ، متضامنين على الخير ، محترمين من الغير ، آفاقهم غير محدودة ، ايامهم غير معدودة .

فهرست

	صفحة
مقدمة	٥
من الأعماق : تحديد جديد للعروبة	٧
غيوم في سماء العرب	٢١
السر في الساعد لا في السيف	٤١
المشكلة الكبرى	٦٧
مشكلة اللاجئين	٧٥
عاد العرب الى الجاهلية	٨١
تعريب العرب	٨٥
الجامعة العربية في ميلادها الثالث	٨٩

صدر حديثاً

عن

دار العلم للملايين

تاريخ الشعوب الاسلامية لبرو كلمان :

ترجمة الاستاذين نبيه فارس ومنير البعلبكي

الجزء الاول : العرب والامبراطورية العربية ٣٠٠

« الثاني : الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ٤٠٠

« الثالث : الاتراك العثمانيون وحضارتهم ٣٠٠

« الرابع : الاسلام في القرن التاسع عشر ٣٠٠

« الخامس : الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى

(يصدر قريباً)

معنى النكبة : للدكتور قسطنطين زريق ١٠٠

روح الحضارة العربية : ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ٢٠٠

فلسفة ابن سينا واثرها في أوروبة : للمستشرقة جواشون ٢٠٠

بعد النكبة قدري حافظ طوقان ١٠٠

١١٥ - ٢ - ١٩٥٠

DATE DUE

18 JAN 1988

JAFFE LIB.
30 SEP 2013
Circulation Dept. 4

A.U.B. LIBRARY

[redacted]956.904:F22gA:c.1
فارس ،نبيه امين
غيوم عربية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01067379

[redacted]956.904:F22gA c.1
فارس
غيوم عربية

956.904 [redacted]
F22gA
c.1